هكذا علمني الإسلام

محمد خير رمضان يوسف

مصدر هذه المادة :



www.ktibat.com

إدارة الثقافة الإسلامية

الفهرس

تصدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

فمعلوم أن الإسلام جاء ليحقق في الحياة الإنسانية أعظم المثل وأطيب الأخلاق، واعتنى بمختلف مكونات النفس البشرية لتستقيم على وزان الفطرة الآمرة بكل معروف، والناهية عن كل منكر.

ومع ما ألف حول تعاليم الإسلام الخالدة، فإن المكتبة العربية ما تزال في حاجة إلى من يقدم لجيل الناشئة والشباب تلك القيم في صورة جذابة وبأسلوب تشويقي هادف.

وقد سعى المؤلف الأستاذ محمد خير رمضان يوسف إلى أن يضمن كتابه «**هكذا علمني الإسلام وهكذا أدبني الإسلام**» مجموعة من التعاليم الإسلامية التي تخص الفرد والأسرة والمجتمع.

ويسر إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت أن تقدم هذا الإصدار إلى جمهور القراء الكرم، إسهاما منها في ترشيد النشء وتوجيه الشباب.

والله يهدي إلى سواء السبيل

إدارة الثقافة الإسلامية

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، والصلاة والسلام على من بلغ الإسلام، وعلى آله وأصحابه وأتباعه الذين نشروا الإسلام.

هذا تعريف موجز بجوانب عديدة من الإسلام، وإطلالة على أوامره ونواهيه، وبيان بأحكام شرعية فيه، وإيراد لشواهد كثيرة منه، هو أقرب إلى قراءة خطوط عريضةٍ فيه، تعرف هذا الدين العظيم، وتذكر مهمات منه وسماتٍ فيه، في قالب يضم الحكم والحكمة، والفكر والنص، والأمر والتوجيه، والتشويق والتحذير، والتذكير والتيسير. كل ذلك على ما توافق وتيسر.

وقدم بلغةٍ محببة ميسرة، في أسلوب ضمير المتكلم، الذي يبدو جديدًا لقلة استعماله، أو أنه أكثر ما يستعمل في الأساليب التربوية للصغار، لكنني وظفته بتوفيق الله للناشئة والكبار.

وهو يناسب المسلم العادي، فيذكره ويثبت عنده مفاهيم وأفكارًا، وتوجيهات وأحكامًا.

وهو مناسب للناشئة والشباب، حتى المتقدمين في التعليم، ممن لم يتخصصوا في علوم الدين، ولم يتمكنوا من ثقافة إسلامية محكمة، فيجدون فيه زادًا وافرًا، وخيرًا جامعًا، ومعينًا من العلم صافيًا.

وهو يصلح كذلك للراغبين في تعرف الإسلام، والمقبلين عليه، ومعتنقيه، لينهلوا منه ويعرفوا ما فيه، من علم وعمل، وسلوك وخلق، وأدب وتوجيه، وعبادة واستقامة، وجلالة مبدأ وعظمة دين.

وجاء التركيز فيه على النواحي العملية، فهو كتاب علمٍ وتربية، وعبادة وأدب، وشرحٍ وإرشاد.

وقد اعتمدت على كتاب «رياض الصالحين» لبيان جوانب هذا الدين، وكاد أن يكون مرجعي الوحيد، واستأنست بتبويبه، واستفدت من نصوصه، واعتمدت تخريج الإمام النووي لأحاديثه، وبيان بعضها بكلماته، وحتى ترجمة أبوابه، وخاصة فيما ورد أخيرًا، من جمل مركزةٍ وكلماتٍ موجزة، لكنها واضحة معبرة، وإن أشبهت متنًا، حتى لا يكبر حجم الكتاب فيُمل، والقصد منه التعلم والإلمام، وأخذ فكرةٍ عن الإسلام، أو أضواء كاشفةٍ عن جوانب منه وأحكام.

أدعو الله تعالى أن ينفع به، ويبارك فيه كما بارك في «رياض الصالحين» فهو قبس منه وإلهام، والله الهادي إلى دار السلام.

محمد خير يوسف

الإخلاص

علمني الإسلام أن أكون مخلصًا في الأعمال التي أؤدها، لله وللناس.

أما له سبحانه، فلا أشرك بعبادته أحدًا، فلا نفاق ولا رياء.

وأما للناس، فيكون تعاوني معهم بالصدق والسلامة والوفاء، فلا غش ولا مواربة، ولا كذب ولا خيانة.

وإخلاصي معهم يعرفه الله مني، فإن لم أكن كذلك عاقبني.

وقد ذكر لنا رسول الله ﷺ أن الله لا ينظر إلى أجسامنا ولا إلى صورنا، ولكن ينظر إلى قلوبنا، التي هي محل النية والإخلاص.

التوبة

علمني الإسلام أن أتوب إذا قمت بعملٍ سيء، فإن الله سيمحوه إذا كنت صادقًا في توبتي، بأن أقلع عنه، وأندم على ذلك، وأعزم على ألا أعود إليه، وإن تعلق به حق إنسان أعدته إليه وبرأت ذمتي منه.

وسبب التوبة هو الذنب، الذي لا بد للإنسان منه، صغيرًا كان أو كبيرًا، وعليه أن يستغفر الله ويتوب ولو تكررت أو تكاثرت ذنوبه، ولا يقنط من رحمه الله، مهما كانت كبيرة أو كثيرةً!

والمهم هو العودة إلى جانب الإسلام، وضياء الإيمان، وتصحيح المسيرة، ليكون المرء عضوًا نافعًا، يبشر ويبني، لا مفسدًا ينفر ويهدم.

وليعلم المرء أن ربه يفرح بتوبته فرحًا شديدًا، لأنه رحيم به، ولا يريد لعبده المؤمن إلا الخير.

فليكن أحدنا كما يحب الله.

الصبر

علمني الإسلام أن أكون صبورًا إذا ابتليت، كما أكون شكورًا إذا عوفيت، فإن الصبر ضياء في الطريق، والشكر مكرمة تدل على معدنٍ طيب ووفاء في الإنسان.

وليتذكر المرء ذلك النبي الصبور، الذي ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون!

وإن المرء يسأل الله العافية، ولا يسأله الصبر، فإن الصبر لا يأتي إلا بعد البلاء، ولكنه إذا ابتلى دعا الله أن يثبته ويقويه، فإن رسولنا الكريم ﷺ يقول: «**ومن يتصبر يصبره الله**» أي: من يتكلف الصبر على ضيقِ العيش ومكاره الدنيا، فإن الله سيؤيده، قال بعدها ﷺ: «**وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر**». في حديث متفق عليه. ثم إنه يسأل الله الفرج والعافية.

والصبر يدل على عزيمة، وكلما عظم البلاء عظم عند الله الجزاء، وإذا صبر الإنسان فلم يجزع بما يخرجه من الحد، ولم يتضجر أو يسخط ويتأفف، جازاه الله بأجرٍ كبيرٍ لا يخطر على البال، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر: ١٠].

الصدق والكذب

علمني الإسلام أن أكون صادقًا، لأنه يسير بي إلى أبواب الخير ويفتحها، وهذه الأبواب تأخذني إلى الجنة.

ثم إني أجد راحةً في الصدق، وطمأنينة وراحة بال، بعكس الكذب والافتراء، الذي يسلك بي طرق الفجور، وهذه الطرق تؤدي إلى النار والعياذ بالله.

وفي الكذب دائمًا ريبة وتوجس وقلق، وممتهنة محل شك وحذرٍ من قبل المجتمع، فلا يؤمن على شيء، لأنه يؤمن جانبه.

وكان رسول الله ﷺ إذا لمح كذبًا من بعضِ أصحابه انقبض عنه، ولا ينفتح قلبه عليه إلا بعد أن يعلم أنه انقلع منه.

المراقبة

علمني الإسلام أن أعبد ربي كأنني أراه، فله صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي كله، يراني ويراقب خواطري، ويعرف أين توجهي، يعلم خالجة نفسي، وخائنة عيني، وخافية صدري، فـ ﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥].

فعلى أن أتقيه أينما كنت، وأستعين به وحده، وأعرفه في الرخاء كما أعرفه في الشدة، ولا أعمل في الخفاء شيئًا أستحي منه علنًا، وأن أترك ما لا يعنيني.

اليقين والتوكل

علمني الإسلام أن أكون مؤمنًا حق الإيمان، وموقنًا يقينًا كاملًا لا يتزعزع، ومسلمًا بما يأمر به ربي ويقضى علي ويقدره.

وأن أتوكل عليه وأفوض إليه أمري، وأسلم إليه نفسي، رغبة ورهبة إليه، فلا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه، فهو حسبي ونعم الوكيل.

الاستقامة

علمني الإسلام أن أكون. مستقيمًا، في نظرتي إلى الحياة، وفي سلوكي ومعتقدي، فإن الاستقامة تعني نظام الأمور، وإن معنى «سددوا وقاربوا» في حديث مسلم الصحيح: القصد الذي لا غلو فيه ولا تقصير، والاستقامة والإصابة، ويعني هذا كله لزوم الطاعة، على منهاج الكتاب والسنة.

علمنيا الإسلام أن أكون مستقيمًا مع نفسي ومع الآخرين، وكيف أخدع نفسي التي بين جنبي ولها أعمل، وكيف أخدع أخي في العقدة وقد وصاني به رب الخلق، وكيف أخدع الآخرين وقد أمرني الله بالعدل ولو مع الكفار الذين أبغضهم؟ فالاستقامة واجبة في كل حال!

التفكر

علمني الإسلام أن أكون متفكرًا، نبيهًا، عاقلًا، مثقفًا، فطنًا، أتفكر في خلق السماوات والأرض، وما فيها من إنسان، وحيوان، ونبات، وجماد ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ .

أتفكر في الدنيا وأحوالها، وفنائها، والآخرة وأهوالها، وفي النفس وتقصيرها، وتهذيبها، وحملها على الاستقامة.

المبادرة

علمني الإسلام أن أكون مبادرًا إلى الخيرات من غير تردد، فإن كسلت أفقرت وضعفت، والإسلام يقدم القوة ويفخر بأولي العزم، وإن لم أبادر فقد يأتيني المرض فلا أقدر على عملٍ ولا عبادة، والعمر قصير، والموت قادم، والحساب بانتظاري!

وإن خير توجه في المبادرة أن تكون إلى الجهاد، به يعز الإسلام ويقوى المسلمون، وقد استكثر صحابي الوقت في أكل تمرات، فبادر إلى الجهاد، وقاتل حتى قتل...

وإن الذي يملأ الإيمان قلبه لا يتواني عن أي عملٍ مباركٍ ما دام قادرًا عليه، فالإيجابية هي الغالبة على حياة المسلم، وليس السلبية والانهزامية التي تتمثل في الكسل والجبن والأنانية.

التعبد والمجاهدة

علمني الإسلام أن أتعاهد نفسي وأجاهد باستعمالها فيما ينفعها، بأن أعبد ربي حق العبادة، حتى لا يستعصى عليها طاعة من بعد، فقد كان رسولنا ﷺ يقوم من الليل حتى تشققت قدماه، وينصح أحد أصحابه أن يكثر من السجود، «**فإنك لن تسجد سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة**» كما رواه مسلم.

وسأله أحدهم مرافقته في الجنة فقال: «**أعني على نفسك بكثرة السجود**».

إن المجاهدة في حسن العبادة تغسل النفس من عيوبها، وتفتح المجال أمام التذلل والمناجاة لرب العباد، وتصفي النفس من أكدار العجب والتكبر، وتغدو صالحة لحياة الخلافة، من غير ظلمٍ ولا تعسف ولا فساد.

عمل الخير

علمني الإسلام أن أزداد من الخير، وخاصةً في أواخر عمري، فإن التوبة تقبل من المخطئ ما لم يكن في سكرات الموت، وإن كنت محسنًا ازددت نورًا، و ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ ، وخيرنا من طال عمره وحسن عمله. ثم إن كل عبدٍ يبعث على ما مات عليه.

وإن طرق الخير كثيرة، يستطيع أن يطرق بابها كل مسلم، بحسب طبعه وقدراته وظروفه، من عبادة، وجهاد، وإسداء معروف، وكف أذى، وبشاشة وجه، وكلمةٍ طيبة، وكالرفق بالحيوان، والمشي إلى المسجد، والوضوء، وغرس الشجر، وذكر الله، وشكره...

وقد ورد في صحيح مسلم: «**بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ وجد غصن شوكٍ على الطريق، فأخره، فشكر الله له، فعفر له**».

التوسط في العبادة

علمني الإسلام القصد في العبادة والتوسط فيها، فلا أتكلف ما لا أطيق، أو ما يشق عليّ الذي يؤدي إلى الانكماش أو الملل من بعد، فيكون هذا سببًا في ترك خير أو الفتور عنه أو الخوف منه، وإن الله يريد بنا اليسر، فالمهم أن نبقى على عمل طيب إذا باشرناه، وأن نسدد ونقارب ونبشر، ولا نتشدد في غير موضع التشديد، بل نستعين على طاعة الله في وقت النشاط والفراغ، حتى نستلذ العبادة ولا نسأم، فإذا فترنا جلسنا واسترحنا.

وليست العبادة هي كل شيء في حياة المسلم، فإن للنفسِ حقًا وللأهل حقًا... والمطلوب التوازن والقصد.

وقد بين النبي ﷺ أمر القصد في العبادة لصحابي جلل، ورأى آثار عمله من بعد فقال: «**فلما كبرت وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله ﷺ**».

المداومة على الأعمال الصالحة

علمني الإسلام أن أداوم على عمل صالح كنت آتيه ولا أتهاون في ذلك ولا أتكاسل حتى لا أتركه، ولا أكون كالذين طال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكان كثير منهم فاسقين، وإن المطلوب مني عبادة ربي حتى يأتيني اليقين، وهو الموت.

وكان رسولنا محمد ﷺ كما تقول أمنا عائشة رضي الله عنها «**أحب الدين إليه ما دوام صاحبه عليه**».

ولحرصه صلوات الله وسلامه عليه على المداومة على الأعمال الصالحة وعدم التساهل فيها، كان إذا فاتته الصلاة من الليل، من وجع أو غيره، صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة، كما رواه مسلم.

المحافظة على السنة

علمني الإسلام أن أكون مطيعًا لرسول الله ﷺ ومحافظًا على سنته وآدابها، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ويقول عليه الصلاة والسلام كما رواه البخاري: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**» يعني أنه ليس من أهل الجنة.

فإذا أمرني نبيي بشيءٍ أتيت منه ما استطعت، وإذا نهاني عنه اجتنبته.

وأبتعد عن كل بدعةٍ في الدين، وأحافظ على السنن والمندوبات في الأدب والدين، فإنها تربية النبوة، ومدرسة تبرز من خلالها شخصية المسلم المتميزة، ونور على الطريق، تصلح به العلاقات الاجتماعية وتنمو، ويزداد به المجتمع الإسلامي تكافلًا وتماسكًا.

الانقياد لحكم الله

علمني الإسلام الانقياد للحكم الشرعي بدون تلكؤ ور ترددٍ ولا حرج، وأسلم بذلك تسليمًا فإن شأن ﴿الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]. وليعلم أن الله لم يأمرنا بما لا نطيق، وأن ما أمرنا به هو لصالحنا ولفلاحنا.

النهي عن البدع

علمني الإسلام تجنب البدع، فهي مردودة، وفيها ضلال، والخير في كتاب الله، وهدي محمدٍ ﷺ.

وإن البدع سببٌ في الاختلاف بين الأمة، واجتنابها يسد هذا الباب، ولذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

بين طريق الخير وطريق الشر

علمني الإسلام أن أبادر إلى الأعمال الحسنة والمشاريع الخيرة، التي تبعث بدورها النور في نفوس الخيرين فيشاركون في تنمية هذه الأعمال والمشاريع، فيعم الخير والتعاون والإصلاح في المجتمع الإسلامي، ويكون للفاعل الأول أجر من وافقه وتابع عمله.

وعلمني في مقابلة أن أتجنب الشر وتبعاته، فإن فتح باب للشر يفتح عيون ذوي النيات السيئة فيقتحمونه ويزيدون منه، ويكون وزر هذه الأعمال كلها على الفاعل الأول، حتى يوم القيامة، فتتشكل عليه جبال من الأوزار.

وانظر إلى حديث رسول الله ﷺ المتفق عليه: «**ليس من نفسٍ تقتل ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها، لأنه كان أول من سن القتل**».

الدعوة إلى الهدى أو الضلال

علمني الإسلام أن أكون داعيًا إلى الخير، ومتعاونًا مع المجتمع على البر والصلاح والتقوى، بالأسلوب الحسن والمعاملة الطيبة.

وإن جمع الناس على الخير وتذكيرهم به، وترسيخ قيمة بينهم، يكون في امتثالهم له وانضباطهم بالتربية الحسنة ثواب كبير للقائم به.

ولنذكر أن هداية امرىء على يديك خبر لك من مشاريعك الدنيوية كلها، بل من الدنيا وما فيها.

وأن العكس هو عكس النتيجة، فإن بث الضلال، ونفث السموم، ونشر الفساد، وإشاعة الفاحشة، والدعوة إلى التفرقة والأفكار الهدامة، نتيجتها الهلاك والخسران.

النصيحة

علمني الإسلام أن أكون ناصحًا أمينًا، فإن المؤمنين كلهم إخوة لي، والأخ يشفق على أخيه، ويحرص على سلامته، ويتمنى له السعادة والتوفيق كما يتمنى لنفسه ذلك، وقد جاء في الحديث المتفق عليه: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**».

الأمر بالمعروف

علمني الإسلام أن أكون آمرًا بالمعروف، وهو كا ما عرف بالشرع والعقل حسنه، من أحكام وآدابٍ ومحاسن أخلاق، وأن أكون ناهيًا عن المنكر، وهو نقيض المعروف. وقد ذم الله الذين كفروا من بني إسرائيل بأنهم ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩].

ومجال هذا الأمرو اسع، يحوي جميع فئات المجتمع، فإن من المنكر ما يمكن إزالته باليد، وإلا فباللسان، وإلا فبالقلب، وهو أضعف الإيمان.

وعدم العمل به يعني تفشي المنكرات، واتساع رقعة الظلم والفساد في المجتمع والوطن، وهذا كله يؤدي إلى الانتقام الرباني.

وهذه المسؤولية منوطة بكثير من الناس، ولكنهم لا يأبهون بها، وخاصةً في الأسواق، والمستشفيات، والملاهي، والجامعات... وغيرها. فليحذر المسلم، وليفعل ما قدر عليه، أو ليتجنب مواقع المنكرات، ولا يجالس أصحابها.

ومن المنكرات الأحكام الدستورية المخالفة للشرع، والقوانين الوضعية المناهضة للدين، والممارسات القمعية والاستبدادية التي تمارس ضد الناس بدون خوفٍ ولا ردع، وإن الإعلان في التصدي لهذه الأمور وبيان فسادها من أفضل الجهاد، كما قال رسول الله ﷺ فيما رواه الترمذي وحسنه: «**أفضل الجهاد كلمة عدلٍ عند سلطانٍ جائر**».

وقال أيضاً ﷺ فيما روي بأسانيد صحيحة: «**الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**».

وقد علمني الإسلام التوازن والمصداقية، فلا أكون متكلمًا بلا عمل، ولا آمرًا الناس بالبر وأنا مخالفه، فإن هذا إثم ومقت، وعليه عقوبة، ولن يأخذ الناس كلامي بجد إذا عرفوا أنني صاحب أقوال دون أفعال.

أداء الأمانة

علمني الإسلام أن أكون أمينًا، فإن الخيانة من صفات المنافقين، وقد وصف رسول الله ﷺ بالأمين حتى بين كفار الجاهلية، وهذه الصفة كان لها أثر جميل في تقبل دعوة الإسلام وانتشارها، وكذلك اليوم، فإن هذه الصفة وغيرها من الأخلاق والآداب الحميدة تؤثر في جذب الناس إلى الإسلام، وتعطي مدلولًا واقعيًا لمبادئ الإسلام السمحة والعظيمة.

الظلم

علمني الإسلام أن الظلم حرام، وأنه لا يجوز الاعتداء على أي شخص بغير حق، سواء أكان مسلمًا أو غير مسلم، سواء في نفسه أو في ماله، وأن المسلم الحق هو «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**» ما في الحديث الصحيح.

وإن الإسلام نفر من الظلم، وعده ذنبًا كبيرًا يحاسب عليه، حتى لو كان شيئًا قليلًا، وقد ورد في صحيح مسلم، أن صحابيًا استشهد، فذكر الرسول ﷺ لأصحابه أنه رأه في النار لأنه أخذ عباءة من الغنيمة قبل أن تقسم!

هذا في شهيد قدم روحه فداء للإسلام.. فكيف بموظفٍ يأخذ رشوة، وكيف بمن يضرب آخر أو يشتمه أو يرميه بجرم، أو يسفك دمع... وكيف بمن لا يعدل بين الناس ويخون الأمانة... وصور الظلم كثيرة ومنتشرة في هذا العصر خاصة، وفي بلاد المسلمين عامة...؟

وإن من أراد السلامة فليرد المظالم إلى أهلها، ولا يبقي شيئًا عنده لم يقتنه من حلال، أو ليتحلل من أصحابها قبل أن يختطفه الموت، فإن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب. وإن الحساب عسير يوم الحساب، إلا من سلم الله.

مراعاة حقوق المسلمين

علمني الإسلام أن أكون معظمًا لحرمات المسلمين، مقدرًا لحقوقهم، شفيقًا عليهم، رحيمًا بهم، مكرمًا لهم. وقد وصف الله نبيه في القرآن الكريم بأنه رؤوف رحيم بالمؤمنين. وكان كذلك ﷺ، فكان يخفف من الصلاة إذا سمع بكاء صبي، وأمر الأئمة أن يخففوا من صلاتهم كذلك، رحمةً بالضعيف والسقيم والكبير وذي الحاجة.

ورسول الله ﷺ لنا أسوة، فعلينا أن نكون كذلك، لا نظلم مسلمًا ولا نخونه، ولا نؤذيه في عرضه أو ماله، ولا نبغضه، ولا نحسده، ولا نترك نصرته.

ولا ننسى حقوقه، فنرد سلامه، ونزوره إذا مرض، ونتبع جنازته إذا مات، ونجيب دعوته، ونشمته إذا عطس، فنقول له: يرحمك الله... ويرد هو: يهديكم الله.

والذي ينبغي أن يحذر منه المسلم أشد الحذر، هو أن لا يحقر أخاه المسلم، فإن هذا صفة ذميمة، وخصلة معيبة في المجتمع المسلم، ومما يؤسف له أن تجد مثل هذا في الطبقات الدنيا من المجتمع، وبين الجاليات والأقليات المسلمة، ويكفي أن يوصف مثل هذا الشخص بأنه شرير، فقد قال رسول الله في الحديث الذي رواه الترمذي وحسنه: «**بحسب امريءٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**».

المحافظة على أمن المجتمع

علمني الإسلام أن أكون عنصر خير في المجتمع الإسلامي، يحافظ على سريان الأمن والسلامة فيه، وينبذ الشائعات المغرضة التي تفكك المجتمع، وتبث فيه روح التفرقة والتخاذل وتمكن الغزو الفكري الخبيث منه، ولا أعطي مجالًا لأهل الأهواء والفساد والفواحش، بأن يتمكنوا من نشر الفاحشة، فإن لها عواقب سيئة على المجتمع السليم، وإن الله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

قضاء الحوائج

علمني الإسلام أن أكون متعاونًا وعنصرًا إيجابيًا في مجتمعي الإسلامي، فأساهم في قضاء حوائج المحتاجين ما قدرت عليه، وأخفف عنهم أحزانهم، وأبث فيهم روح الأمل، وأبين لهم فضيلة الصبر حتى يكشف الله عنهم.

وفي حديث حسنٍ ذكر رسول الله ﷺ أن أحب الناس إلى الله أنفعهم لهم، «**وإن أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مؤمن: تكشف عنه كربًا، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا**».

وإن قضاء الحوائج أفضل من العبادة، وقد ورد في الحديث نفسه: «**ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة، أحب إلي من أن أعتكف شهرين في مسجد**».

وإذا لم أقدر، أو ما كان الأمر بيدي، شفعت لأخي المسلم، فإن في ذلك أجرًا، وسعيًا إلى الخير، وإشاعةً للتعاون على البر والتقوى.

الإصلاح

علمني الإسلام أن أكون مصلحًا عادلًا بين الناس، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾. وإن النية الحسنة، والعقل السليم، والتخطيط المحكم، والشفقة على المسلمين، يبث فيهم روح التكافل والتضامن، وينبذ أسباب الخلاف والنزاع، فيعيش المجتمع في رباطٍ أخوي، بدل مخاصمات وأحقاد تسري بين أفراده وجماعاته.

وكم من صلحٍ أعاد أسرًا إلى عش الزوجية فعاش الأطفال في حنان الأم ورعاية الأب؟ وكم خلص عشائر وبلداناً من براثن النزاع والحروب فأمنت نفوسًا، وأطفأت شرًا كبيرًا؟ وكم أراح ضمائر كان قد تسلل إليها اليأس، وتمكنت منها الأمراض النفسية، فعاد إليها التوافق وعاشت هنية قادرة على العمل والعطاء بقوةٍ وصفاء؟

ولنتصور بعد ذلك أجر القائم بالصلح، الذي حقن دماءً، وصفى قلوبًا، وفجر ينابيع جديدة في المجتمع المسلم، من أجرٍ كبير، وثواب عظيم، ومكانةٍ عند الله!.

الاهتمام بضعفة المسلمين

علمني الإسلام ألا أهمش الضعفاء في المجتمع، فإن لهم شأنًا عند الله، وهم محتاجون إلى ملاحظةٍ ورعايةٍ دائمةٍ من قبل المسؤولين والجمعيات الخيرية وأهل الغنى واليسار، ليكون هناك توازن اجتماعي حقيقي في ساحة الأخوة الإسلامية، وليرحم الله الناس بهذا التواصل والتكاتف الاجتماعي.

وليعلم أن عامة أهل الجنة من المساكين، وأن الرجل العظيم السمين – يعني الشخصيات والوجوة الدنيوية – يأتي يوم القيامة «**لا يزن عند الله جناح بعوضة**» كما في الحديث المتفق عليه.

وإن إيذاء الضعفاء يسخط الرب ويجلب العقوبة، وقد قال رسول الله ﷺ لأبي بكر، وكان قد قال كلامًا لبعض الصحابة الضعفاء ﷺ : «**يا أبا بكر لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك**».

وقد قال أفضل الصلاة وأزكى السلام فيما رواه أبو داود بإسناد جيد: «**إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم**».

وندب الإسلام إلى معاملة اليتيم معاملة خاصة، فيها أروع صور الرحمة وأجمل صور الشفقة، وأن كافله ومولة يكون قريبًا من منزلة رسول الله ﷺ في الجنة، في حديث صحيح يعرفه أهل الخير خاصة، حتى قال أحد شراح الحديث رحمه الله: حق على من سمع هذا

الحديث أن يعمل به، ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك.

وإذا كان أعلى وأسمى أعمال المسلم التي يبتغي بها الأجر الكبير عند ربه هو الجهاد في سبيله، فإن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بين في الحديث المتفق عليه أن «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله**».

إن أجل وأروع وأهم التوصيات النبوية لأمته، فهل تنبهت لهذا وعملت به ليستقيم أمرها ويصلح شأنها، ويعيش أفرادها في محبةٍ ووئام، وحتى يرحمها الله، فإن رَحم رُحم؟.

الوصية بالنساء

والحقوق الزوجية

علمني الإسلام أن أحسن إلى النساء في كسوتهن وطعامهن، وأعاشرهن بالمعروف، والمرأة الصالحة كنز لا مثيل له في الدنيا، فهي عون للرجل، ومستشارة أمينة له، وأمان واطمئنان في البيت، ولبنة مباركة في المجتمع، وسند للوطن في إخراج تربويين وأبطالٍ مجاهدين...

وقد بين رسول الله ﷺ أن أفضل الناس وأكرمهم هو أحسنهم وألطفهم مع النساء، حيث قال: «**خياركم خياركم لنسائهم**» في سنن الترمذي، وصححه.

وللزوجين حقوق يجب مراعاتها بين بعضهم البعض، وأمير الأسرة هو الرجل، لكنها مثله مسؤولة عما تحت يدها، وحذرها الإسلام من الغواية والضلال، وأنها فتنة وبلاء إذا خرجت عن حدود الإسلام، يكون لها آثار سلبية على الرجال والمجتمع عامة.

الإنفاق على الأسرة والاهتمام بها وتوجيهها

علمني الإسلام أن أتدبر شؤون أسرتي، فأنا مسؤول عنها، فإذا تركتها غير مبال بها، فقد أخطأت وأثمت، حيث يقول ﷺ كما رواه مسلم: «**كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت**».

وقد ندبني الإسلام إلى العمل والنفقة على العيال خاصة، حيث الأجر الكبير، فإن الإنفاق على الأهل هو أعظم أجرًا من غيره، إنه بموازاة الإنفاق على الغزو في سبيل الله.

وليس الاهتمام بها من ناحية ماديةٍ فقط، بل من الجوانب الإيمانية والتربوية أيضا، فيجب على الأب والأم أمر الأولاد بطاعة الله تعالى، وإقامة الصلاة خاصة، ونهيهم عن الخروج عن نظام الإسلام، ومنعهم من ارتكاب المحرمات، وتأديبهم، ومتابعة سلوكهم خارج الدار، ليكونوا مسلمين عقلاء أسوياء، تتبين ملامح شخصيتهم الإسلامية من خلال أحاديثهم، وأصدقائهم، وتوجهاتهم.

ويأتي هذا الاهتمام والتأكيد لبناء أسرةٍ سليمة، تعتمد على نفسها، وتتعاون فيما بينها، ولا يكون أفرادها عالةً على المجتمع. فإذا استغنت وكفيت تفرغت للعلم والبناء، والتخطيط للمستقبل، وشاركت في نشاطات تربوية واجتماعية وماليةٍ يكون بها عمران البلاد... إنها الأساس الذي يشع منه أنوار المستقبل، وملامح القوة والتماسك، وبصلاحها ونظامها يكون الأمر كذلك.

الإنفاق المبارك

علمني الإسلام الإنفاق من أحب أموالي إلي، ومن جيده، فإن هذا يؤكد حب الإسلام وأهله، والتجاوب الكبير مع أفراد المجتمع الإسلامي والاهتمام بشؤونهم، وينزع حب المال والأنانية البغيضة من القلب. يقول الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ويقول ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

حق الجار

علمني الإسلام أن ألبي حقوق جيراني، وأوصاني بذلك، وأكد عليه مرارًا، فإن العلاقات الاجتماعية تبدأ معهم، فإذا صلحت كانت انطلاقةً مباركةً إلى بقية أفراد المجتمع. أسلم عليهم كلما رأيتهم، وأتبشش في وجوههم، وأتعاون معهم في تفقد أهل الحاجة منهم، وأندب معهم الصغار لتعلم القرآن الكريم والتربية الإسلامية في المساجد، وأشاركهم في أفراحهم وأتراحهم، وقد قال رسول الله ﷺ، فيما رواه الترمذي وهو صحيح: «**خير الجيران عند الله خيرهم لجاره**».

وبالمقابل حذر الإسلام من الجار غير الملتزم، الذي قد يتلبس بالشر فيؤذي أقرب الناس إليه وأكثرهم حقوقًا عليه فيخون ويغدر، وإن مثل هذا لا يدخل الجنة، حيث قال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**». رواه مسلم.

والبوائق: الغوائل والشرور.

بر الوالدين وصلة الأرحام

علمني الإسلام أن أكون بارًا بوالدي، واصلًا لأهلي وأقربائي، فإن والدي ربياني صغيرًا، وتابعا مسيرة حياتي وأنا لا أقدر على الكلام، ولا أقدر أن أحفظ نفسي من أي مكروه وشملاني بعطفهما وحنانهما، وأنفقا علي، وعلماني، ونصحاني ووجهاني، حتى قدرت على خوض متطلبات الحياة، فلهما علي، وخاصة والدتي، حقوق يجب أن ألبيها، برًا بهما، وردًا لجميلهما، ووفاءً بعهد الله ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨] فهما أحق الناس بصحبتي واهتمامي، وأرجو من وراء ذلك بركة وتوفيقًا في الدنيا وأجرًا وثوابًا في الآخرة.

والدائرة الثانية في اهتمامي هي رحمي، أهلي وأقربائي، الذين يعدون أولى درجات المجتمع، وبتآلفهم وتماسكهم تكون لبنات البنيان محكمة، قوية وصلبة، وإن التقرب منهم والتعاون معهم والسؤال عنهم باستمرار يعد أحد المنافذ التي تؤدي إلى الجنة، وإن الإنفاق عليهم فيه أجر الصدقة وأجر صلة الرحم، وإن من وصل أقرباءه وذويه من رحمه وصله الله، ومن قطعهم قطعه الله، يعني من رحمته ومن الجنة.

وهذا جانب الترغيب في أدب الإسلام. أما الترهيب، فقد عد الإسلام عقوق الوالدين من أكبر الكبائر، كما في الحديث المتفق عليه: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟... الإشراك بالله، وعقوق الوالدين...». فانظر كيف قورن العقوق بالشرك الأكبرّ لأنه دليل على فساد الإنسان من الداخل، وبذلك يتوقع انفجار الشر منه،

وتأذي من حوله به، فإن الذي يعق والديه خائن وغادر شرير، لا يؤمن جانبه من أذية آخرين، من الأهل والأصدقاء والمجتمع. وقد منع المرء من إلحاق أقل الأذى بالوالدين، حتى لو كانت كلمة فيها تضجر وتأفف، بل حتى نظرة حادة أو شزرة إلهما، والمطلوب هو القول الجميل والتقرب منهما والتذلل لهما، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣ -٢٤].

وفي جانب الترهيب من قطع صلة الرحم تهديد ووعيد شديد لا يأبه به كثير من المسلمين، على الرغم من خطورته، والسبب هو غلبة جانب العاطفة السلبية على المرء، أعني الحقد والضغينة والكراهية التي تملأ جوانب نفسه ضد أهل له وأقرباء، بحيث تطغى على جانب الطاعة والعبودية لرب العالمين، وهذا أمر لا يليق بالمؤمن الصحيح الإيمان، فإنه بادر إلى الطاعة والامتثال، ولا يجد في نفسه حرجًا من تطبيق أمر الله، لأنه فوق كل شيء، حتى فوق نفسه التي بين جنبيه.

إن الوعيد الشديد هو ما ورد في الحديث المتفق عليه من أن «الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله».

وقبل ذلك آية كريمة شديدة الوعيد، يمر عليها المسلم وقد لا يتنبه لمعناها، هي قوله ﷻ : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ

﴿وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣]. وعقب هذه الآية التي وردت في حديثٍ بصحيح البخاري: «**فقال الله تعالى**: **من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعه**».

وهذا تفسير لكلمات الآية، فإن اللعنة تعني الطرد من رحمه الله. نعوذ بالله من ذلك.

جوانب أخرى

من البر والصلة

علمني الإسلام أن أزيد من رقعة البر والإكرام، فضلًا عن الوالدين والأهل، كأصدقاء الأب، وصديقات الزوجة، وخدمة الأصحاب والأحباب، فإن هذا من البر والوفاء، وأجمل به أن يكون خلقًا يتحلى به أفراد خير أمة أخرجت للناس.

وانظر إلى بر هذا الصحابي الجليل ووفائه النادر، جرير بن عبد الله البجلي ﵁ ، الذي لاحظ خدمة الأنصار لرسول الله ﷺ، وتفانيهم في إكرامه، ومسارعتهم إلى ذلك، وإيثاره على أنفسهم وأولادهم، فتأثر بهذا الموقف كثيرًا. وانغرس في نفسه خدمة الأصحاب إلى أعمق الأعماق، وخرج مرة في سفرٍ مع أنس بن مالك، فكان يخدمه، فقال له أنس لا تفعل، فقال: إني قد رأيت الأنصار تصنع برسول الله ﷺ شيئًا، آليت على نفسي أن لا أصحب أحدًا منهم إلا خدمته! وقد روى هذا الخبر البخاري ومسلم.

فأحرى بنا أن نكون أوفياء مكرمين لمن له فضل علينا، أو على والدينا، ولا ننسى ودهم وفضلهم، ليبقى هذا الخلق الرفيع فينا، ونكون جديرين بحياة الخلافة الحميدة.

احترام الناس

علمني الإسلام أن أوقر الكبار، وأحترم العلماء وأهل الفضل، وأقدمهم على غيرهم، وأرفع مجالسهم، وأظهر مرتبتهم، وإن الله يقول: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، وصحح النووي قول عائشة رضي الله عنها: «أمرنا رسول الله ﷺ أن تنزل الناس منازلهم».

إنه أمر واقعي، وتوازن عقلي، ومطلب اجتماعي لا ينكر.

فاحترام العالم تبجيل للعلم، ورفع لمكانة أهله، وإشادة بالرأي والدليل، ورد لجميل أعلام نذروا أنفسهم للتربية والتعليم، وأناروا لنا دروب الحياة حتى لا نتخبط فيها...

وتوقير الكبير تكريس لأدب الإسلام في الأخذ بيد الضعيف، ومساعدة أهل الحاجة، وتقدير أهل الخبرة والوجاهة في المجتمع، والاعتراف بفضلهم في تزويدنا بالوصايا والحكم، وتربيتنا على التفكر والتريث، وهكذا بقية أفراد المجتمع الإسلامي، ممن يطلب منا رفع مكانتهم وتعظيم شأنهم.

الصحبة وما إليها

علمني الإسلام أن أصحاب أهل الخير، وأزورهم، وأجالسهم، وأحبهم، وأطلب الدعاء منهم، وأزور المواضع الفاضلة. وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ كان يزور قباء راكبًا وماشيًا فيصلي فيه ركعتين، فكان ابن عمر يفعله.

والصداقة أمرها خطير، فإن المرء يقارن بصديقه، فإن لم تعرف حاله عرف به، وإن «**المرء مع من أحب**» كما في الحديث المتفق عليه، فإن كان رفقاؤه سيئين أشرارًا فهو سيء شرير، وإن كانوا طيبين خيرين فهو طيب خير، فلينظر الإنسان من يختار لصحبته، فإنه مثلهم، ومصيره مصيرهم، في الجنة أو في النار.

والمؤمن يختار الصحبة الطيبة، ويحرص على أن يكون صديقه مؤمنًا تقيًا، وقد روى الترمذي بإسناد حسنٍ قوله ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي**».

وعند الصديق الطيب تجد الراحة والأمان، والمحبة الحقيقة، لأنها في الله، وعند الأشرار لا يكون إلا التنغيص والمشكلات، والغواية والخيانة، لأنها في الهوى والمصالح النفعية، فيكون الاجتماع والاصطحاب في الإثم والعدوان.

فاحرص على الأخ الطيب، وانهل معه من معين الأخوة الصافية في الله، واطلب منه الدعاء إذا فارقته، ففي حديث صحيحٍ رواه أبو داود

والترمذي، أن عمر بن الخطاب ﵁ استأذن رسول الله ﷺ في العمرة، فإذن له وقال: «**لا تنسنا يا أخي من دعائك**»!

قال عمر: فقال كلمةً ما يسرني أن لي بها الدنيا!

وافتخر بإخوانك الضعفاء من أهل الذكر والدعاء، واصبر على صحبتهم دون الكبراء الذين لا يتخذون دين الله منهجًا في الحياة، فإنك مأمور بذلك، وإنهم أفضل عند الله من هؤلاء، فليكن عندك كذلك.

أما زيارة العلماء وأهل الفضل والوجاهة في الإسلام، فلا أجمل منها ولا أروع، فعندهم كنوز العلم والمعرفة والتربية، فاحرص عليها، وتجمل بها، فإنها ذخر لك في الحياة، وأجر لك بعد الممات.

وإذا رأيت تفاوتًا في درجات الرجال واهتماماتهم بأنواع العلوم، فلتكن في صف من يذكرك بالله، ويمهد لك طريق الجنة، ويريد العزة للإسلام وأهله.

واعتبر بزيارات الآخرين وتنوعها، ولا تقتصر على شيخٍ واحدٍ أو صنفٍ من الناس، لتنوع من معارفك، وتطلع على تجارب الحياة، وتكون على بينةٍ مما يجري في الحياة، ويكون موقفك من الأمور في موالاةٍ ومعاداة صحيحتين، فهما من صميم العقيدة الإسلامية، ولا تنس أهل الفضل من ذلك، فإن زيارتك لهم من باب الإيناس والوفاء.

وفي خبر جميل رواه مسلم، أنا أبا بكر قال لعمر رضي الله عنهما: «انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها». وكانت حاضنة رسول الله ﷺ وهاجرت الهجرتين. فلما انتهيا إليها بكت... فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها...

الحب في الله

علمني الإسلام أن الحب الأجدي والأنفع هو ما يكون لله، فلا أحب المرء إلا لله، فإذا كنت كذلك وداومت عليه كنت أحد الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وقد روى مسلم في صحيحه قوله ﷺ: «**إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**». أي تحابوا لجلاله وعظمته، لا لغرض سوى ذلك من دنيا أو نحوها.

وقد ورد في حديثٍ صحيح آخر أن هؤلاء المتحابين في الله، لهم منابر من نورٍ يتمناها النبيون والشهداء!

وحتى تكمل دائرة المحبة وتزيد بين المؤمنين، فإن عليهم أن يخبر بعضهم بعضًا بذلك، فيقول أحدهم: إني أحبك في الله، ويرد الآخر: أحبك الذي أحببتني له.

وبازدياد هذا الحب الصافي بلا كدر، يزداد الوئام والتكافل في المجتمع، وينعم بالأمن والأمان.

حُب الله

علمني الإسلام أن الحب الأساس هو حب الله سبحانه وتعالى، وتظهر علامات هذا الحب من خلال اتباع المرء أوامر الله وأحكام دينه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

ومن علامات هذا الحب أن يكون المؤمن ذليلًا على أخيه المؤمن، رحيمًا معه، لا جبارًا متكبرًا عليه، ولا مزدرئًا ومحتقرًا له، ويكون عزيزًا وقويًا لا تلين له قناة مع الكافرين، لا يخاف لومًا منهم ولا تهديدًا، يجاهد في سبيل الله حق الجهاد.

ومن وسائل حب الله والتقرب إليه كثرة عبادته، فما يزال المسلم يتقرب إلى الله بالنوافل حتى يحبه، فإذا أحبه أصلح شأنه ووجهه إلى الحلال الطيب والتوفيق في دنياه، وأمر أهل السماء أن يحبوه، ووضع له القبول في الأرض، ويكون نعم العبد هو، ينفع ولا يضر، يسالم ولا يؤذي، ينتج ولا يتواكل، يرحم ولا يظلم...

التحذير من إيذاء

الصالحين والضعفاء

علمني الإسلام وأكد علي أن لا أؤذي الصالحين والضعفة والمساكين، فهؤلاء هم أكثر من يتعرض للظلم والإهمال والنسيان في المجتمع، وإن إيذاءهم جريمة كبيرة لا يعرف جرمها إلا مؤمن خائف، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وفي الحديث القدسي الذي رواه البخاري: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب».

بل يكون المرء بالمقابل إيجابيًا، يحاول أن يمد لهم يد العون، ويتابع أحوالهم، فيتقرب إلى الله بهذه الأعمال الحسنة.

الحكم الظاهر

علمني الإسلام أن أحافظ على أمن المجتمع ووحدة الكلمة بين المسلمين، وعدم إثارة الفتن والخلافات بينهم، فإن في الاتحاد قوة، وفي الخلاف والتراجع الضعف والفشل، وأن أجري أحكام الناس على ظاهرها، وأكل سرائرهم إلى الله تعالى.

وما أجمل كلام عمر رضي الله عنه في ذلك إذ يقول: «**إن ناسًا كانوا يؤاخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرًا أمناه وقربناه وليس لنا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءًا لم نأمنه ولم نصدقه، وإن قال إن سريرته حسنة**». رواه البخاري.

الخوف من الله والحساب

علمني الإسلام أن أخاف من الله رب العالمين، فإنه سبحانه يقول: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]. ويقول ﷻ : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وأن أخاف العقوبة التي أعدها لمن خالف أوامره وآثر طريق الشيطان على نهج الرحمن، فغن عذابه شديد فظيع لا يتصور، والحساب دقيق، فلن يدخل أحد الجنة أو النار «**حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن عمله فيم فعل فيه، وعن ماله من أن اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**». رواه الترمذي وهو صحيح.

والعاقل يحاسب نفسه قبل أن يحاسب، ولا يتكل على ظنونٍ وحساباتٍ وهميةٍ وغير مقبولة، فيترك الصلاة ويشرب الخمر ويشتم الناس ويقول: إن الله رحيم فسيرحمني وأدخل الجنة، فهؤلاء توعدهم الله بالنيران المحرقة، وليس بجناتٍ عدن، وأمثال هؤلاء الجهلة قد يكونون قائمين على أعمالٍ محبطةٍ وأحوالٍ كفرية وهم لا يدرون فيكونون مع الكفار في النار.

فالأصل هو الخوف والوجل من الله حتى تصلح أعماله في الدنيا، وإن من خاف الله في الدنيا أمنه في الآخرة، ومن أمنه في الدنيا خافه في الآخرة، فكن حذرًا لتأمن، والله يقيك سوء العذاب.

الرجاء

علمني الإسلام أن أرجو رحمة ربي وغفرانه مهما كثرت ذنوبي، فإن رحمته وسعت كل شيء، وهو أرحم الراحمين، وألا أقنط أبدًا من هذا ولا أيأس، فهو سبحانه يقول: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: ٥٣].

إنه سبحانه سبقت رحمته غضبه، هو أرحم بعباده من المرأة بوليدها، إنه يريد من عباده أن يعزموا ويقوموا بأقل الأعمال وأسهلها لغفر لهم، لا حجاب بين عبوديتهم وعظمته، إنه تعالى «**يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**» كما رواه مسلم.

إنه اللطيف الرحيم، إذا تقرب منه العبد قليلًا – وهو عبد – تقرب إليه الرب أكثر – وهو رب –. يفرح بتوبته لأنه رحيم يريد أن يتوب ويغفر. يدعوه إلى الجنة بأعمال صالحة، ويمهد له طريقها ليسلكها بأمانٍ مع عزيمة وصبر، فكن مع الله يكن معك، وكن جامعًا بين فضيلتي الخوف والرجاء، ترجو رحمته، وتخشى عقابه، وأحسن به الظن عند الموت، فهو الذي يتولاك برحمته.

الخشية والبكاء

علمني الإسلام أن أكون خاشعًا لله، متذللًا لعظمته وجبروته وكبريائه، باكيًا من خوفه، متشوقًا إلى لقائه، فإن ما عنده سبحانه من عظمةٍ وترهيب لا نعرفه، ولو عرفناه لضحكنا قليلًا ولبكينا كثيرًا، وقد أمرنا جل جلاله أن نتدبر الأمر بجد وعمق، وألا نجعله يخترف آذاننا دون مسمع منا: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ، وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ [النجم: ٥٩ – ٦٠].

والبكاء من خشية الله له أجر كبير، فيحول بين المرء وبين النار، وله فائدة تعود على المرء نفسه، فيلين إن قطرة الدمع التي تذرفها من خشية الله، لا تقل قيمة عن الدم الذي يسيل من جسدك في سبيل الله، وقد روى الترمذي وحسنه، قوله ﷺ: «**ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين: قطرة دموع من خشية الله، وقطرة دمٍ تهراق في سبيل الله**.....».

الزهد والتقلل

من الدنيا

علمني الإسلام أن أزهد في الحياة وأتقلل من الدنيا، فإنها إلى زوال ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [القصص: ٦٠]. ويقول ﷻ : ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦] ، ويقول ﷻ : ﴿هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. أي أن الآخرة هي دارا لحياة الحقيقية، حيث لا موت هناك.

والمرء في هذه الدنيا في امتحان، كلما ازداد منها حوسب أكثر، وإذا تقلل منها قل الحساب. والخوف على الملتهي فيها والمغرور بها وارد.

وليعلم هذا الذي يمضي وقته في جمع المال، ويفخر بالمنصب الكبير، والمسكن الفاخر، والولد الكثر، أنه سيموت قريبًا، ولن يصطحب شيئًا من هذا معه، بل سيرافقه في القبر عمله وحده.

ومع هذا يأبى بعضهم إلى أن يجعل من الدنيا جنة له، ورسول الله ﷺ يقول في حديث رواه مسلم: «**الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر**».

يقول الإمام النووي في شرحه: «معناه أن كل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة، مكلف بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من

النعيم الدائم، والراحة الخالصة من النقصان. وأما الكافر، فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا، مع قلته وتكديره بالمنغصات، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم، وشقاء الأبد».

ولذلك قال رسول الله ﷺ لابن عمر كما في البخاري: «**كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل**».

وإن الزهد يجلب محبة الله للعبد، لأن أكثر اهتمامه يكون في إرضاء الله سبحانه لا إرضاء نفسه، بينما الالتهاء بالدنيا يدخل فيه التنافس والتحاسد والتباغض، فينجرف المرء مع هذه الأهواء والمنغصات، فيقع في الحرام، وينسى أو يتناسى ما هو مطلوب منه حكمًا.

يقول رسول الله ﷺ فيما روي بأسانيد حسنة: «**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**».

وللزهد علاقة بالجهاد والنصر، فإن المال فتنة معوقة للمرء، حيث النعيم والفراش الوثير، والمتزهد لا يتعلق قلبه بمثل هذا، وقارن أيها المسلم بين حال الصحابة والتابعين وغزواتهم وفتوحاتهم وبين حالنا اليوم...

والزهد غالبًا طريقة الجنة حيث يشاء الله، وفي الحديث المتفق عليه قوله ﷺ: «**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء**».

وهذا نبينا العظيم صلوات الله وسلامه عليه، روت أمنا عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري أنه «**خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير**»!

وإذا كان الناس يفرحون بزيادة المال وكثرة الرصيد، فإنه ليس بالعمل الأولى ولا بالنهج السديد، بل الأولى هو البذل والعطاء، فيقول رسول الله ﷺ في حديثٍ حسن صحيح رواه الترمذي: «**يا ابن آدم، إنك أن تبذل الفضل خير لك، وأن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول**».

إن المسلم الحقيقي يعتبر نفسه صاحب رسالةٍ قبل كل شيء، فهمه الأول دينه وليس كثرة ماله، ولهذا كان الفضل في خشونة العيش، والاقتصاد على القليل من المأكول والمشروب والملبوس، وغيرها من حظوظ النفس، وترك الشهوات.

والله يوفق من يشاء من عباده إلى هذا، وخاصة من رأى في قلبه صدق التوجه إليه.

القناعة والتعفف

علمني الإسلام أن أكون قانعًا، عفيفًا، مقتصدًا في المعيشة والإنفاق، لا أسأل من غير ضرورة، فإن «**اليد العليا خير من اليد السفلى**» و «**من يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله**» كما في الحديث المتفق عليه.

وإن القناعة والعفاف تدلان على نفسٍ طيبةٍ كريمة، وعدمهما يدل على طمعٍ وجشع... وكان رسول الله ﷺ يشير إلى مثل هذا عندما يعطي أو يمنع، فهو يقول كما في البخاري: «**والله إني لأعطي الرجل وأدع الرجل، والذي أدع أحب إلي من الذي أعطي، ولكني إنما أعطي أقوامًا لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع، وأكل أقوامًا إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغني والخير**».

والقانع العفيف من الصنف الذي يحب العمل والإنتاج، والمشاركة في أعمال الخير، ويتوكل على الله، فيبارك له فيه، فتطيب نفسه، ويتفاءل ويهنأ، بعكس السائل الذي لا ينتهي طعمه إلى حد، فيكون جزعًا، منقبضًا، بخيلًا، ترى الفقر بين عينيه.

والسؤال صفة ذميمة لا يلجأ إليها سوى ضعاف النفوس، إلا عند الحاجة والضرورة القصوى، وما عدا ذلك فهو سحت، أي حرام، وإن الذي يسأل الناس وهو مكتفٍ فإنما يتاجر بالنار، كما في حديث مسلم: «**من سأل الناس تكثرًا فإنما يسأل جمرًا، فليستقل أو**

فليستكثر». معناه أنه يعاقب بالنار، ويحتمل أن يكون على ظاهره، وأن الذي يأخذه يصبر جمرًا يكوى به، كما ثبت في مانع الزكاة، أفاده النووي في شرحٍ مسلم.

الكرم والإنفاق

علمني الإسلام الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير، ولو كان شيئًا قليلًا، وما أنفقته ابتغاء وجه الله يعوضني خيرًا منه، إن في الدنيا أو في الآخرة، فالفائدة تعود علي ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. وهو تأس برسول الله ﷺ، الذي وصفه أحد صحابته رضوان الله عليهم بأنه «**ما سئل شيئًا قط فقال لا**» كما رواه الشيخان، وإنها الصفة الجميلة المحببة إلى الناس جميعًا، هذا الكرم الذي تجود به النفوس، فتندمل به جراحات كثير من الناس، والتاريخ حفظ لنا كثيرًا من الأسماء، والعديد من المواقف والقصص، التي ما تزال تحكي في المجالس، وتدار في محاضر العلم، فتملأ النفوس بهجة وافتخارًا بها، وحبًا وإعجابًا بأصحابها.

إنه الدين القويم، الذي يصنع الرجال العقلاء الأسوياء، حتى يفضلون الناس على أنفسهم، ولو كانت بهم فاقة وحاجة، فأنعم به وبرجاله...

الموت وقصر الأمل

علمني الإسلام أن أذكر الموت وأقصر من الأمل، فالموت يذكرني باليوم الآخر وما فيه من حساب، ويبعدني من الالتهاء بالدنيا والغرور بنعيمها، ويقربني من العبادة وطلب العفو من الله، ويحد من طغيان النفس وظلم الإنسان.

وليس في الدنيا ما يشجع على الحياة، وفيها ما ينتظر المرء من الفقر المؤذي، أو الغني المطغى، أو المرض المفسد، أو الهرم المفند، أو الموت المجهز. فبم يزيد الإنسان من أمله، ويحلم بالنعيم الزائل، وأمامه ما ذكر؟

إن حفرة عميقة مظلمة تنتظره، ستكون حديثة خضراء إن حسب حسابها، وستكون بؤرة من نارً إن سها عنها، والعاقل يوازن ويختار.

يقول الحق سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

ومن السبل التي تذكرني بالموت زيارة القبور، فلا دور هناك ولا أسواق، ولا أشجار ولا أنهار، إنما هي بقايا أعظم وأشعار، وشواهد أحجارٍ وآثار، تذكر بأسماء كانت لها حياة على الأرض فصارت تحت التراب، وكأنها تقول لي: سيأتي دورك، وستنتهي أنفاسك أيها الإنسان.

وإذا لم يتهيأ لي زيارة القبور حللت ضيفًا على علماء عارفين، يذكرون بالموت، فيرققون القلب، ويرطبون العين، فيخشع الجسد ويقشعر البدن، وتطهر النفس، وتسمو الروح، حتى يغدو المرء كالملك، لا غرض له في هذه الحياة ولا أرب!

وإذا قصر في هذا أيضًا، فلا أقل من أن ينقلب إلى كتب الزهد والرقائق، فيداوي نفسه الأمارة بها، ويتنقل بين أخبار المؤثرين الدين على الدنيا، والمفضلين التعب على الراحة، ورضا الله على رضا النفس...

الورع

علمني الإسلام أن أكون ورعًا، في مأكلي ومشربي، وفي معايشتي للناس، أتقي الشبهات وأتجنبها خشية الوقوع في الحرام، وما ترددت فيه هل هو حلال أم حرام؟ وكرهت أن يطلع الناس عليه، تركته، استبراءً لديني وعرضي، إنما أقبل على ما اطمأن إليه قلبي، بعد السؤال والموازنة، وأترك ما التبس علي. وإن الذي يدور حول الشبهات لابد أن يقع فيها، والشبهات قريبة من الحرام، والوقوع فيها يفتح الطريق أمام الوقوع في ا لحرام، فالخير في أن أدع ما يريبني إلى ما لا يريبني، بأن أترك ما أشك فيه، وآخذ ما لا أشك فيه.

وأصل الورع الإقبال على الفرائض وترك المحارم، وطلب الحلال من مظانه. فهو باب واسع من الحياة، وفي حديث صحيح بطرقه ورد قوله ﷺ: «**فضل العلم خير من فضل العبادة، وملاك دينكم الورع**».

ومن الورع: ترك فضول النظر، يعني غض البصر. وكذا فضول السمع، من أحاديث لا خير فيها ولا نفع. والورع في اللسان لا يجهله المسلم، ومع ذلك يغلبه على نفسه، حتى قال بعض السلف: «فتشت الورع، فلم أجده في شيء أقل منه في اللسان». وقال آخر: إنك لتعرف ورع الرجل في كلامه.

وكذا الورع في شهوتي البطن والفرج... والآثار في ذلك عديدة، وأخبار السلف المحمودة في ذلك كثيرة جليلة.

وإذا عرجت على الورع في باب البيع والشراء وما يطلب فيه من المسلم مراعاته، لألفيته قليلًا في عصر «التجارة الحرة»، واختلاط الحلال فيه بالحرام... عندئذٍ يبرز فضل الورع وفضيلة الورعين، ولعلهم قليلون...

الاختلاط بالناس

علمني الإسلام أن الأفضل هو الاختلاط بالناس، وحضور جمعهم وجماعاتهم، ومجالس الخير والذكر معهم، وحلقات العلم بينهم، ومواساة محتاجهم، وإرشاد جاهلهم، وعيادة مريضهم، وغير ذلك من مصالحهم، إذا قدرت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصبرت على أذاهم، ولم أؤذ أحدًا منهم.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه ابن ماجه وغيره: «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**».

وإن في اجتماع المسلم بأخيه خير، ما دامت النية صافية، والاجتماع خالصًا، والحديث خيرًا، ففيه تسديد للرأي بالمشاورة، وزيادة علمٍ بالمحاورة، وتعاون على البر والتقوى، ونصيحة بالعدل والاستقامة...

التواضع وترك

العجب والتكبر

علمني الإسلام أن أكون متواضعًا، وخاصة للمؤمنين، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، ووصف من يحبهم ويحبونه بقوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

والتواضع يتأتي من عدمن افتخار المسلم بحسبه ونسبه على أخيه المسلم، ولا يتباهى بمكارمه ومناقبه عليه، فإن المفاضلة في الإسلام هي بالتقوى وحدها وهي صفة إيمانية جليلة، ترفع قدره بقدر قربه من الله، وطاعته لرسوله ﷺ، وبعده عن المنهيات، وتركه ما لا يعنيه، فهذه الصفة تزيد من رفعة المرء، بتواضعه لله سبحانه وتعالى وتنفيذ أوامره.

والتكبر نفيض التواضع، وهو ما نهى عنه الإسلام وحذر منه، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨] والمرح هو التبختر.

فالعبد عبد، ولا ينبغي الاستعلاء إلا للعلي الكبير جل شأنه، ومن ارتفع وتكبر كتب في الجبارين، وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم، أن النار احتجت بقولها «**في الجبارون والمتكبرون**» ، بينما كان احتجاج الجنة بقولها: «**في ضعفاء الناس ومساكينهم**».

والتواضع هو الغالب على الضعفة والمساكين، هو من صفات أهل الجنة، زادنا الله بها عزًا وفوزًا بالجنان.

والملاحظ في العلاقات الاجتماعية بين الناس، أن التواضع وخفض الجناح يورث المحبة والتآلف والثقة، والتكبر يورث الكراهية والبغضاء والنفور، فلا أحد يحب المتكبرين، ولا أحد يحب صحبتهم، ولا أقل من ذلك.

حسن الخلق

علمني الإسلام أن أكون حسن الخلق، وإن الإيمان يهدي إلى أحسن الأخلاق، كما قال رسول الله ﷺ فيما رواه الترمذي وصححه: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا». فإذا رأيت مسلمًا سيء الخلق فإن إيمانه غير كامل، لأنه لم يلتزم بآداب الإسلام وتوجيهات الرسول ﷺ الكاملة، فإذا كنت مسلمًا حقًا ترجمت تعليمات الإسلام إلى تطبيق وواقعٍ معاشٍ في حياتي.

وقد كان نبينا ﷺ «**أحسن الناس خلقًا**» كما في الحديث المتفق عليه، وحث أمته على التحلي بمكارم الأخلاق ليرتقوا إلى الدرجات العالية في جنات الخلد، فهو يقول ﷺ كما رواه الترمذي وصححه: «**ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق**». وبين في حديث آخر صحيح أن «**أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق**».

وإذا أحببت أن تكون قريبًا من مجلس رسول الله ﷺ يوم القيامة فجاهد نفسك لتكون حسن الأخلاق، طيب المعشر، عفوًا كريمًا، حبيبًا حليمًا، ففي الحديث الذي حسنه الترمذي: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا».

وقد تكمن فائدة الأخلاق في هذه النفسية الطيبة التي يحملها صاحب الخلق، فينشر الفضيلة بسلوكه المتزن، ويساهم في بنيان المجتمع المرصوص بحمله وكرمه، ولا يؤذ أحدًا بلسانه..

الحلم والأناة

علمني الإسلام أن أكون رفيقًا حليمًا، سهلًا، في القول والفعل، هينًا لينًا، عفوًا متأنيًا، فغن هذا صفة ربناية كريمة، حيث وصف رسولنا ﷺ رب العالمين بأنه «رفيق يحب الرفق في الأمر كله» كما في الحديث المتفق عليه، وبين في حديث آخر رواه مسلم، أنه يعطي على اللين والتؤدة ما لا يعطي على الشدة والمشقة: «**يعطي على الرفق مالا يعطي على العنف**»، وأن من حرم هذا الخلق الكريم، فقد حرم الخير كله، وكأن الحلم سيد الأخلاق!

وإن من وهبه الله هذه الخصلة الرائعة، فقد دق أبواب الجنة عن قرب، فإن الله يحب الحلم والأناة، وتحرم النار «على كل قريب هينٍ لينٍ سهل» كما رواه الترمذي وحسنه.

فإذا رأيت مسلمًا لطيفًا في معشره، يحلم على الناس، ويعفو عن أخطائهم، ويتحمل أذاهم، ولا يحرجهم بكلمة سوء، فاقترب منه، واغبطه على هذا الخلق الجليل، وامش معه أو في ظله، فإنه نعم الأديب يتعلم منه، ونعم الأدب يتحلى به.

العفو عن الناس

علمني الإسلام أن أتحمل أذى الناس، وأعفو عنهم، فإن العفو خلق جميل، وإن الله ﷻ يقول: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]، وقد عفا رسول الله ﷺ عمن حاربه وقتل أهله وأصحابه يوم فتح مكة، وهو قدوتنا، نقتدي به ونتعلم منه ديننا وآدابنا، ونطبقه في حياتنا، فنتجاوز عن أخطاء أفرادٍ من أمة نبينا ﷺ، لننشر السلام، ونعطر أرجاء المجتمع بالأمن والأمان، ونري صفحة قلوبنا لأهلنا وذوينا، وأن ظاهرها وباطنها سواء.

الانتصار لدين الله

علمني الإسلام أن أغضب إذا انتهكت حرمات الشرع، وأن أنتصر لدين الله، فإن هذا دليل على تعظيم شعائر الله، وبيان للدفاع عن الحق، وتثبيت لسنة حسنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإشارة إلى أنه لا يمكن السكوت عن مثل هذا، لأنه متصل بدين الله وحدود ما شرعه لنا، مهما كان شأن المنكر عليه، فإن دين الله أعلى وأجل.

الرفق والعدل

بين الرعية

علمني الإسلام أن أرفق بالناس إذا وليت أمرًا لهم، وأن أنصحهم وأشفق عليهم، وألا أشدد عليهم، ولا أهمل مصالحهم، أو أغفل عنهم وعن حوائجهم، فإن الله سائلي عن هذا كله، فإن وفى الوالي وفى الله له، وإن خالف وكابر وبقي على ذلك حرم عليه الجنة، ففي الحديث المتفق عليه قوله ﷺ: «**ما من عبدٍ يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة**».

لأن أمثال هؤلاء المسؤولين أشرار مفسدون في الأرض، يستحقون الطرد والتعذيب، جزاء ما قاموا به من ظلمٍ وغش، وعسفٍ وتخويف، وأكلٍ لأموال الناس بالباطل، وقد وصفهم في حديث آخر متفقٍ عله أن «**شر الرعاء الحطمة**»، وهم القساة الذين يظلمون، ولا يرقون للناس ولا يرحموهم «**فإياك أن تكون منهم**».

إنما المطلوب هو القسط والإحسان، والرقة والرحمة، فهذا الذي يوجب الألفة والمحبة بين المسؤول ومن تحت يده، وبذا يتوطد الحكم، لأنه قائم على العدل والإحسان، لا الجور والطغيان، وبهذا أيضًا يسود الأمان والثقة في المجتمع، وفي حديث مسلم:

«**أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطانٍ مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال**».

وفيه أيضًا: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم**».

في الإمارة والطاعة

علمني الإسلام أن أكون مطيعًا لأولي الأمر إذا كانت أوامرهم موافقة لشريعة الإسلام، فإذا كانت مخالفة فلا سمع ولا طاعة، يقول رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**».

والطاعة تكون في الأمور الكبيرة والصغيرة، وتكون ف الظروف الصعبة والسهلة، وتكون في الأمور الشخصية والعامة، فإن هذا يوجد تلاحمًا بين المسؤول والرعية وتشكيلًا فريدًا لمجتمع واحدٍ متماسك، وإن العيون ناظرة إلى المسؤول الأكبر، فإن أطاع الله في شعبه وأمرهم بما أمر الله به ورسوله وحفظ لهم كلياتهم، أطاعوه وأطاعوا أعوانه، وإذ نبذ كتاب الله خلف ظهره وأمرهم بهواه، وجد العنت فيهم، وخالف بينهم، فلا يهنأ ولا يهنأون.

ألا وإن طاعة رسول الله ﷺ من طاعة الله، وهذه سنته بين أيدينا، فمن أباها فقد عصى الله.

يقول الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام في الحديث المتفق عليه: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**».

ومع أن المسؤولية أمانة عظيمة يسأل عنها الناس ويحاسبون عليها يوم القيامة، إلا أن كثير من المسلمين يحرصون عليها، ويسلكون شتى السبل للوصول إليها، حتى لو كانت على أعناق الرجال، وهذا تهور وجهل بالمصير، واستخفاف بمكانة المسؤولية في الإسلام، ورد في صحيح البخاري قوله ﷺ: «**إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة**».

وفرق بين من يطلب منه ويتودد إليه ليلي أمرًا للمسلمين، وبين آخر حريص عليها يطلبها وقد لا يكون أهلًا لها، فالأول يعينه الله، والآخر يكله إلى نفسه.

ويعرف الحريص من سؤاله ومحاولاته، وكان ﷺ لا يولي الإمارة أحدًا سألها، أو كان حريصًا عليها، كما في الحديث المتفق عليه.

ومن يمن المسؤول والتفاؤل بتوفيقه أن يكون له مستشارون مؤتمنون، عاقلون متقون، يشيرون إليه بالأعمال الجليلة والمشاريع الحسنة، والخطط الناجحة والخطوات المباركة.

روى أبو داود بإسناد جيدٍ قوله ﷺ: «**إذا أراد الله بالأمير خيرًا جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه**».

الحياء

علمني الإسلام أن أكون حييًا، فإن الحياء خير كله، ولا يأتي إلا بخير، وهو خصلة من الإيمان، وكلما زاد إيمان المرء ازداد حياؤه، وأساسه الحياء من الله، بمنع التقصير في حقه، وهو خلق جميل محبب إلى النفس، فلا تجد حبيبًا إلا محبوبًا ومحترمًا بين أصدقاءه، وفيه هدوء نفسٍ، وتقدير للآخرين، ولكنه لا يمنع المرء من الجهر بالحق وتغيير المنكر، فهذا المانع حياء صوري لا حقيقي، وهو عجز وخور ومهانة، لا عزيمة فيه ولا إيجابية، إنه الخجل لا الحياء، وفرق بينهما.

حفظ السر

والوفاء بالعهد

علمني الإسلام أن أكون حافظًا للسر، لا أفشيه لأحدٍ إلا بإذن صاحبه، وأن أكون وفيًا بالعهد، فإني مسؤول عن ذلك، ديانةً وقضاءً، يقول الله ﷻ : ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

والمخالف لعهده مبغض عند الله وعند الناس، لأنه خادع وخان الأمانة، وصارت فيه خصلة من خصال المنافقين، وباء به المجتمع، لأنه انحرف عن الطريق المستقيم، وصرنا ننظر إليه أنه غير صادقٍ في حديثه وتعامله.

طيب الكلام

وطلاقه الوجه

علمني الإسلام أن أكون طيب الكلام، طلق الوجه عند اللقاء، حسن المحيا، هاشًا باشًا في وجه أخي المسلم، فإذا كنت كذلك تحببت إلى أخي، وضمنت الأجر عند ربي، يقول رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**الكلمة الطيبة صدقة**».

وإن طيب الكلام، يدل على طيب صاحبه، وعلى نفسيته الطيبة، وعلى معدنه الطيب.

في أدب الكلام والإصغاء

أدبني الإسلام بأن أكون واضحًا في كلامي إذا تكلمت، فإذا لم يكن بينًا كررته وسهلته حتى يفهمه المخاطب، وأن أخاطب الناس على قدر عقولهم، حتى لا أتعالى عليهم ولا أنفرهم، فالمطلوب أن أتحبب إلهم بالكلام السهل الطيب حتى أحبب إليهم دين الله.

وقد وصفت عائشة رضي الله عنها رسولنا ﷺ بأن كلامه «**كان فصلًا يفهمه كل من يسمعه**» كما رواه أبو داود، ومعنى فصلًا: بينًا ظاهرًا.

كما أدبني الإسلام بأن أصغي إلى جليسي ما لم يكن حديثه لغوًا أو حرامًا، وأن أنصت إليه في أدب جم وتواضع ظاهر، وإن كنت قد سمعته من قبل، فإنه أدعى للمحبة والوئام.

الاقتصاد في الوعظ

علمني الإسلام أن أكون مقتصدًا في كلامي مع المدعوين لئلا أملهم، فإن الخير في الكلام القليل الواضح البليغ، إلى ناسٍ أعرف فيهم حب الاستماع إلى الحديث، ووقت نشاطهم ورغبتهم في ذلك، فإن الكلام عندئذٍ يأخذ مجراه ويلامس وعاءً مهيأً له، فإذا أكثرت انصرف قلبه عني قبل ميلان وجهه، وحاشا أن أكون سببًا في الانصراف عن دين الله أو التنفير منه.

السكينة والوقار

علمني الإسلام الوقار والسكينة، من غير مرحٍ ولا استكبار، وبمثله أدبني الإسلام إذا أتيت الصلاة والعلم ونحوهما من العبادات، فإنه دليل تقوىً في القلب، وتعظيم لشعائر الله، وفرق بين أن يرى المرء ماضيًا مستخفًا، طائش الخطوات كثير الالتفات، وبين آخر هادئ رزينٍ ثابت الخطوات كأنه يفكر بمستقبلٍ بعيد... أو أنه مقبل على أمرٍ مهم، أو أنه عازم على إنجاز أمرٍ له شأنه...

إكرام الضيف

علمني الإسلام أن أكرم ضيفي، وأرحب به، وأتبشش إليه، وأطعمه مما عندي دون تكلف، وأحسن إليه ما عدا ذلك، إلى ثلاثة أيام، فهذا حقه، وما بعدها صدقة عليه، إن شاء أمضاها المضيف وإن شاء أمسك، وعلى الضيف أن يكون عارفًا بذلك، فلا يحرج أخاه، ولا يطلب ما ليس عنده، ولا يكلفه ما لا يقدر عليه.

والكرم دليل الإخوة والمحبة، والشهامة والسؤدد، وهو صفة جميلة يتحلى بها المسلم، ويعالج بها نقصًا قد يكون فيه أو يطرأ عليه، كالأنانية والبخل، وإكرام الضيف أحد مظاهر مكارم الأخلاق، والله يهدي لأحسنها من شاء.

البشرى والتهنئة

والدعاء بالخير

أدبني الإسلام بالخلق الحسن، فحبب إلي التبشير والتهنئة بالخير لأكون طيبًا محبوبًا بين أهلي وأصحابي، وفي القرآن الكريم كلمات بشرى كثيرة، وفي السيرة الكريمة والأحاديث الشريفة ما ينبئ أن رسول الله ﷺ كان يحب ذلك ويفعله.

وانظر إلى الكلمات الجميلة والدعاء بالخير من صاحب الرسالة ﷺ مع أحد صحابته الكرام، كما في حديثٍ للترمذي حسن:

- يا رسول الله، إني أريد سفرًا فزودني.
- «**زودك الله التقوى**».
- زدني.
- «**وغفر ذنبك**».
- زدني.
- «**ويسر لك الخير حيثما كنت**».

أدب تقديم اليمين

على اليسار

ومما أدبني به الإسلام استحباب تقديم اليمين في كل ما هو من باب التكريم، كالوضوء، والغسل، والتيمم، ولبس الثوب والنعل والخف والسراويل، ودخول المسجد، والسواك، والاكتحال، وتقليم الأظافر، وقص الشارب، ونتف الإبط، وحلق الرأس، والسلام من الصلاة، والأكل والشرب، والمصافحة، واستلام الحجر الأسود، والخروج من الخلاء، والأخذ والعطاء، وغير ذلك مما هو في معناه.

وفي ضد ذلك، أدبني الإسلام بأن أقدم اليسار، كالامتخاط والبصاق عن اليسار، ودخول الخلاء، والخروج من المسجد، وخلع الخف والنعل والسراويل والثوب، والاستنجاء، وفعل المستقذرات، وأشباه ذلك.

فقد كان رسول الله ﷺ «**يعجبه التيمن في شأنه كله: في طهوره، وترجله، وتنعله**» كما في الحديث المتفق عليه من كلام عائشة رضي الله عنها. وترجله يعني تسريح شعر رأسه.

وقالت أيضًا في حديث صحيح رواه أبو داود وغيره: «كانت يد رسول الله اليمنى لطهوره وطعامه، وكانت اليسرى لخلائه وما كان من أذى».

ولعل الحكمة في ذلك هو ما جعل الله من الخير والبركة والفوز والسعادة لأهل اليمين، وعكس هذه الأمور لأهل الشمال.

وكذلك هو توجيه لسلوك المسلم نحو التعبد، بدل أن تكون طائشة بلا نظامٍ ولا معنى، فيؤجر على أن يتوجه بأعضائه نحو طاعة المصطفى ﷺ ، وباستعمالها في كيفياتٍ وأنحاء موافقةٍ لتوجيهاته النبوية الكريمة.

وكذلك هو صياغة لشخصية المسلم، التي ينبغي أن تكون متميزة عن غيرها من الملل والنحل، فيوافق المسلم المسلم في أي زمنٍ وفي أي أرضٍ كانت.

آداب الطعام

ومما أدبني به الإسلام أن أقول «**بسم الله**» إذا بدأت الطعام، وأن أقول «**الحمد لله**» إذا انتهيت منه، فإن الله يبارك فيه، ثم الشكر له على ما أنعم وأطعم وسقى، ومن لم يسم الله عند طعامه، ولم يذكره سبحانه عند دخوله بيته، شاركه الشيطان في معيشته، حيث يقول لأصحابه – كما في صحيح مسلم-: «**أدركتم المبيت والعشاء**».

وأدبني الإسلام ألا أعيب طعامًا وإن عافته نفسي، فقد يشتهيه آخرون ويأكلونه، بل ويتلذذون به، أو قد يكون فيه دواء ولا أعلم به.

وفي الحديث المتفق عليه: «**ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه**».

ومن آداب الطعام أن آكل بيميني، وأصغر من لقمتي، وآكل مما يليني، ولا أعتدي على نصيب الآخرين من حولي.

وأن آكل من جانب الصحن لا وسطه، فإن البركة تكون في ذروته، كما في الحديث الحسن الصحيح الذي رواه أبو داود والترمذي: «**البركة تنزل وسط الطعام، فكلوا من حافتيه، ولا تأكلوا من وسطه**».

وأدبني الإسلام ألا آكل متكئًا، كفعل من يريد الإكثار من الطعام، ولذا فهو مكروه.

وأنه يستحب الأكل بثلاث أصابع، وأخذ اللقمة التي تسقط منه وأكلها بعد إماطة الأذى عنها، ولا يدعها للشيطان.

وفي تكثير الأيدي على الطعام بركة، فإن رسول الله ﷺ يقول كما في صحيح مسلم «**طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية**».

وهذا من تحبيذ الإسلام للاجتماع على الخير والتعاون على البر والتكافل.

آداب الشرب

أدبني الإسلام بأن أشرب على ثلاث دفعات، أتنفس بينها خارج الإناء، لئلا أنفخ فيه، وأن أشرب قاعدًا، وأن أدير الإناء على الأيمن، و «ساقي القوم آخرهم» شربًا، كما في حديث الترمذي الصحيح.

وحرم على الإسلام استعمال إناء الذهب والفضة في الشرب والأكل والطهارة وسائر وجوه الاستعمال، وأجاز الشرب من جميع الأواني الطاهرة غيرهما.

وورد في حديث مسلم: «**من شرب في إناء من ذهب أو فضة فإنما يجرجر في بطنه نارًا**» أي يتجرعه في بطنه.

آداب الثياب

أدبني الإسلام بأن أختار أحسن الألوان من الثياب، وهو الأبيض، مع جواز الأحمر والأخضر والأصفر والأسود، وجوازه من قطنٍ وكتانٍ وشعرٍ وصوفٍ وغيرها إلا الحرير.

وفي حديث صحيح رواه الحاكم والنسائي: «**البسوا البياض فإنها أطهر وأطيب، وكفنوا فيها موتاكم**».

وأدبني بألا أسبل ثوبي أسفل الكعبين أجره خيلاء، فهو حرام.

وأن أصلح من شأني لأبدو في هيئةٍ مقبولةٍ وجميلة، ففي حديثٍ رواه أبو داود بإسناد حسن: «إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رحالكم، وأصلحوا لباسكم، حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس».

ويستحب التوسط في اللباس، وترك الترفع فيه تواضعًا.

وإذا لبست جديدًا قلت كما كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له**». رواه أبو داود والترمذي وحسنه.

آداب النوم

والاضطجاع

وأدبني الإسلام بأن أتوضأ قبل النوم، ثم أضطجع على شقي الأيمن، وأضع يدي تحت خدي وأقول: «**اللهم باسمك أموت وأحيا**» وإذا استيقظت قلت: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**» كما رواه البخاري في صفة نوم رسول الله ﷺ.

وهناك أدعية وسور وآيات يتلوها المسلم قبل النوم، ولعل أجل دعاء مناسب هو ما رواه البخاري أيضًا من أن رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نام على شقه الأيمن ثم قال: «**اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت**».

ومما أدبني به الإسلام ألا أضطجع على بطني، فإنها «**ضجعة يبغضها الله**»كما رواه أبو داود بإسناد صحيح.

آداب المجلس

أدبني الإسلام ألا أقيم أحدًا لأجلس مكانه، فهو تعد وكبر، بل أجلس حيث انتهى بي المجلس.

ولا أفرق بين اثنين، فلا أجلس بينهما إلا بإذنهما.

ولا أجلس وسط حلقة؛ لأنه يؤدي إلى تخطي الرقاب، والإحالة بين الوجوه، وحجب بعضهم عن بعض، فيتضررون بمكاني ومقعدي هناك.

ولا أنسى أن أقول كفارة المجلس، يعني ما يمحو الله به من كلام غير نافع قلته فيه، وهي أن أقول إذا أردت القيام: «**سبحانك اللهم بحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك**» كما رواه الترمذي وغيره، وقال إنه حسن صحيح.

ومما أدبني به الإسلام ألا أتردد على مجالس لا يذكر فيها الله، فإنها مجالس غافلة منفرة، ونتيجتها حسرة وندامة.

يقول رسول الله ﷺ في حديثٍ رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح: «**ما من قومٍ يقومون من مجلسٍ لا يذكرون الله تعالى فيه، إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان لهم حسرة**».

الرؤيا

ومما أدبني به الإسلام أني إذا رأيت رؤيا أحبها حمدت الله وحدثت بها من أحب، فهي من الله تعالى، وإذا رأيت ما أكره استعذت بالله من شرها، ولم أذكرها لأحد، ولا تضرني بعد ذلك.

آداب السلام

ومما أدبني به الإسلام أن أفشي السلام، على من عرفت ومن لم أعرف، فإنه إشاعة للسلام، ومن خير أمور الإسلام، ومن الخصال الباعثة للمحبة، وأحد الطرق المؤدية إلى الجنة.

وتحية المسلمين بين بعضهم البعض، هو «**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**».

و«**يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير**» كما في الحديث المتفق عليه.

ويستحب تكرار السلام إذا حال بينهما شيء، كشجرٍ أو جدار...

وسلام المرء على أهله إذا دخل بيته بركة عليهم جميعًا.

ويكون السلام على الصبيان أيضًا.

وعلى الزوجة، والمرأة من محارم الرجل، وعلى أجنبيةٍ وأجنبياتٍ لا يخاف الفتنة بهن، وسلامهن بهذا الشرط.

ولا يبدأ بالسلام على الكافر، فإن كان في المجلس أخلاط من المسلمين والكفار سلم.

وإذا أراد القيام من المجلس سلم أيضًا.

أدب الاستئذان

وعلمني الإسلام الاستئذان، فهو أدب نبوي وحضاري رائع، فلا أدخل بيتا حتى أستأذن من صاحبه، وأقول إن سمعني: «**السلام عليكم أأدخل؟**» فإن أذن لي، وإلا رجعت، فإن للبيوت أسرارًا، ولا نظن إلا خيرًا ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨].

وإذا استفسر صاحب الدار عني قلت له ما يعرفني به من اسم أو كنية، ولا أقول «**أنا**» أو نحوها.

ولا أنظر من شق الباب أو النافذة، فـ «**إنما جعل الاستئذان من أجل البصر**» كما في الحديث المتفق عليه.

وإذا استأذنت ثلاث مرارٍ ولم يؤذن لي رجعت.

أدب العطاس والتثاؤب

علمني الإسلام أن أقول «**الحمد لله**» إذا عطست، فإذا سمعني جليسي قال: «**يرحمك الله**»، وأرد عليه فأقول: «**يهديكم الله ويصلح بالكم**»، فإذا لم يحمد العاطس الله لا يقال له ذلك.

ومن أدب العطاس ما أخرجه الترمذي وصححه أن رسول الله ﷺ كان: «**إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه، وخفض، أو غض بها صوته**».

وأدفع التثاؤب عن نفسي ما استطعت، وإلا وضعت يدي أمام فمي.

أدب المصافحة

علمني الإسلام أن أصافح أخي المسلم إذا لقيته، فإن رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان، إلا غفر لهما قبل أن يفترقا**»، وهو حديث حسن.

ويكون اللقاء باحترامٍ وبشاشة وجهٍ ومحبةٍ ظاهرة، وهذا من أقل المعروف الذي يقدمه المسلم لأخيه المسلم، وفيه أجر، جاء في صحيح مسلم قوله ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلق**».

زيارة المريض

ومما أدبني به الإسلام أن أزور أخي المريض، فإنه حق له علي، وأدعو الله له بالشفاء والعافية، وأقول كما في الحديث المتفق عليه: «**اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا**».

وأسأل عنه أهله.

وإذا رأت محتضرًا لقنته كلمة الإخلاص، فإن «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**» كما رواه أبو داود والحاكم وصحح إسناده.

آداب حضور

الوفاة والجنازة

أدبني الإسلام ألا أقول إلا خيرًا إذا حضرت مريضًا أو ميتًا، وإذا أصبت بمصيبة قلت: «**إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها، فإني إذا قلت ذلك آجرني الله وأخلف لي خيرًا منها**»، كما في حديثٍ عند مسلم.

وإذا استرجعت وحمدت ربي وصبرت، بني لي بيت في الجنة باسم «**بيت الحمد**»، كما دل عليه حديث حسن للترمذي.

ويجوز البكاء على الميت بغير ندب ولا نياحة، وإذا كانت الوصية بالبكاء من الميت عذب بسبب ذلك.

وإذا رأيت مكروهًا في ميت، من تغير لونٍ أو تشوه صورة، كتمته.

وأصلي على أخي الميت، وأتبع جنازته، وأحضر دفنه، فإن في ذلك أجرًا كبيرًا لي، ورحمة للميت.

وكلما كثر المصلون على الميت كان أفضل، ويقول رسول الله ﷺ كما في صحيح مسلم: «**ما من رجلٍ مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلًا، لا يشركون بالله شيئًا، إلا شفعهم الله فيه**».

والخير في الإسراع بالجنازة، «فإنك تك صالحة فخير تقدمونها إليه، وإنك تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم» كما في الحديث المتفق عليه.

ويقضي دينه، فإن نفس المؤمن معلقة به، أي محبوسة عن مقامها الكريم، ويبادر إلى تجهيزه.

ويستغفر له بعد دفنه، فقد «**كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل**» كما رواه أبو داود من حديث عثمان ، وهو صحيح.

ويدعى للميت، فإنه ينفعه إن شاء الله، وكذا التصدق عنه، فإن الإنسان إذا مات «**انقطع عمله إلا من ثلاث؛ صدقة جارية، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له**» كما رواه مسلم.

ويعتبر ويبكي عند المرور بقبور الظالمين ومصارعهم، ويظهر الافتقار إلى الله تعالى، ويحذر من الغفلة عن ذلك.

أدب السفر

من أدب السفر في الإسلام أن يكون يوم الخميس، ففي روايةٍ في الصحيحين: «**لقلَّ ما كان رسول الله ﷺ يخرج إلا في يوم الخميس**».

والأولى أن يكون في أول النهار، حيث دعا النبي ﷺ أن يبارك الله لأمته في بكورها.

ويستحب للمسافر أن يطلب الرفقة، وأن يؤمروا على أنفسهم واحدًا يطيعونه.

ورد في حديثٍ رواه البخاري: «**لو أن الناس يعلمون من الوحدة ما أعلم، ما سار راكب بليلٍ وحده**». والوحدة: الانفراد في السفر.

وفي حديثٍ آخر رواه أبو داود بإسنادٍ حسن: «**إذا خرج ثلاثة في سفرٍ فليؤمروا أحدهم**». وهو أمر ندب.

والسير في الليل أفضل.

ويتعاون المسافر مع رفقته ويساعدهم، ويعطي ما زاد عليه على من لا شيء عنده أو لا يكفيه.

ويدعو بأدعية السفر، منها قوله إذا ركب: **﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾**.

ويذكر الله، فإذا صعد كبر، وإذا هبط سبح...

ويدعو لنفسه ولمن شاء، فإن دعوة المسافر مستجابة إن شاء الله.

ويقول إذا نزل منزلًا: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**» فإنه لا «**يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك**» كما رواه مسلم.

ويعجل الرجوع إلى أهله إذا قضى حاجته.

ويستحب القدوم على الأهل نهارًا، وكراهته في الليل لغير حاجة.

وإذا رجع ورأى بلدته قال: «**آيبون تائبون عابدون، لربنا حامدون**» كما في صحيح مسلم.

ولا تسافر المرأة وحدها.

مع القرآن الكريم

علمني الإسلام أن أتلو كتاب ربي، وأن أتدبر آياته، وأن أتعلمه وأعلمه، فإنه يشفع لي يوم القيامة، ويكون حجة لي إذا اتخذته دستورًا لحياتي ومنهجًا أتبعه، ولقارئه أجر كبير، لأن قراءة حرفٍ منه بحسنه، والحسنة تضاعف إلى عشر.

والذي لا يقرأ القرآن أو لا يحفظه كالبيت الخرب الذي ليس فيه ما يعين على المعيشة.

وأتعاهد ما أحفظه من القرآن لئلا أنساه.

وأحسن به صوتي إذا قرأته.

وأكرر سورًا وآياتٍ مخصوصة لفضلٍ وأجرٍ، أو لعلاجٍ وشفاء، مثل سورة الإخلاص، وسورة الفلق، وسورة الناس، وآية الكرسي، وأواخر سورة البقرة، وسورة الكهف...

ويستحب الاجتماع على قراءة القرآن، في المساجد خاصة.

يقول الرسول الأكرم ﷺ كما رواه البخاري: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**».

كما روى مسلم قوله ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيتٍ من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**».

الفقه

علمني الإسلام أن أتفقه في ديني، حتى أعرف كيف أعبد ربي، وأعرف صديقي من عدوي، ومن أوالي ومن أعادي، وما ينفعني مما يضرني، وما يحل لي وما يحرم علي، وإلا كنت مسلمًا جاهلًا، لا سهم لي بين الأخيار المكرمين، وتقبلت كما تتقلب الورقة من الريح، وكنت في صف عدوي وأنا لا أدري، وأكلت الحرام وأنا لا أدري...

فلا بد أن أتعلم الفرائض والواجبات خاصة، وأن أسأل الفقهاء، وأرافق طلبة العلم، وأستمع إلى العلماء، وأقرأ.. وأبحث.. فليس هناك أولى من دين الله، ولا أهم من نفسي التي بين جنبي، التي أريد لها كل هذا؛ للفوز بالجنة، والفكاك من النار.

واعلم أنك إذا اتجهت إلى التفقه والعلم فإنه أريد بك الخير، وصرت في صف الأخيار، ما كنت مخلصًا في ذلك.

يقول رسول الله ﷺ في حديث صحيحٍ رواه أحمد والترمذي وغيره: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**».

الصلاة

علمني الإسلام أن أصلي لربي وأعبده كما أمرني، فإنه سبحانه لم يخلقني عبثًا، ولم يخلقني لآكل وأشرب وأنام فقط، فهذه حياة الحيوانات، ولا يريد مني أن أطعمه وأسقيه، لقد خلقني لأمرٍ جلل، وهو طاعته وعبادته، ولم يتركني عبثًا أتيه في الحياة بين الأفكار والنظريات، بل بعث رسلًا، وأنزل وحيًا، وبين لي كيف أعيش، وكيف أعبد، وكيف أتعامل، وسخر لي ما في السماوات وما في الأرض.

وأول وأهم أمرٍ في العبادة هو الصلاة، ويسبقها الوضوء، فأتطهر بالماء وأغسل الأعضاء المطلوبة به كما بينه المصطفى ﷺ، استعدادًا لهذا الأمر الكريم.

وفي الوضوء حط للخطايا والذنوب، ففي صحيح مسلم: «**من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه حتى تخرج من تحت أظفاره**».

وإذا سمعت الأذان للصلاة قلت كما يقول المؤذن، فإذا قال: «**حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح**» قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله. وسألت الله في آخره أن يؤتي نبينا الوسيلة والفضيلة، كما في الدعاء المعروف، ودعوت الله بين الأذان والإقامة، فإن الدعاء لا يرد بينهما.

والصلاة مع أنها عبادة لله سبحانه وتعالى، إلا أن فائدتها الروحية والاجتماعية تعود بالنفع على المسلم ومجتمعه، فهي تنهى عن

الفحشاء والمنكر كما ورد في القرآن الكريم، فالمؤمن المطيع لربه، الحريص على عبادته، المخلص له فيها، لا يفعل الأمور القبيحة، ويبتعد عن المعاصي والمنكرات، وعن الظلم والفساد.

إضافةً إلى أن صلاة الجماعة فيها اجتماع بين الجيران وأهل الحي، وتنظيم لوقت المسلم، وتكفير لخطاياه.

ففي صحيح مسلم أيضًا: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفارة لما بينهن، ما لم تغش الكبائر**» أي ما لم تؤت.

وحتى الخطوات التي يخطوها المسلم أثناء ذهابه إلى المسجد له فيها أجر، فإنه ﷺ يقول: «**من تطهر في بيته، ثم مضى إلى بيت من بيوت الله، ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطواته، إحداها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة**». رواه مسلم.

ويشهد لمرتادي المساجد بانتظامٍ بالإيمان.

وصلاة الجماعة أفضل من صلاة الواحد بسبعٍ وعشرين درجة، كما في الحديث المتفق عليه.

وهي أصعب ما تكون على المنافقين، الذين يتظاهرون بالإسلام، وخاصة صلاة الفجر والعشاء.

وفي حديث جليلٍ فيه تشجيع للمسلم وتذكير له بفضل صلاة الجماعة، يقول ﷺ : «**من صلى العشاء في جماعةٍ فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعةٍ فكأنما صلى الليل كله**». رواه مسلم.

يعني أن مجموع صلاتي العشاء والصبح جماعة كقيام الليل كله!

وقد أمرنا بالمحافظة على الصلوات المكتوبات، ونهينا نهيًا أكيدًا ووعدنا وعدًا شديدًا في تركهن.

ففي حديث صحيح رواه مسلم: «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**».

وفي حديث صحيح رواه الترمذي وغيره: «**إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر**....».

وفي الصف الأول من الجماعة فضل كبير، مع إتمام الصفوف الأول، وتسويتها والتراص فيها.

وللصلاة سنن رواتب، يؤدي بعضها قبل الصلاة، وبعضها بعدها، الأفضل أن تصلي في البيت، حيث ورد في الحديث المتفق عليه: «**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا**».

وحث رسول الله ﷺ على صلاة الوتر، فهي سنة مؤكدة.

وكذلك صلاة الضحى.

يوم الجمعة

علمني الإسلامي أن يوم الجمعة هو أفضل أيام الأسبوع، ففي حديث رواه مسلم قوله ﷺ: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة**». وفيه صلاة الجمعة التي أغتسل قبلها وأتطيب لها وأحضرها مبكراً في المسجد الجامع مع إخواني، وأستمع إلى الخطبة وأنصت إذا تكلم الإمام، وفيها ساعة الاستجابة، التي «**لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه**» كما في الحديث المتفق عليه.

ومعنى «**قائم يصلي**» أي ملازم ومواظب يدعو، كما أفاده النووي رحمه الله.

ويستحب فيها ذكر الله ﷻ ، والإكثار من الصلاة على النبي ﷺ.

قيام الليل

وحبب إلي الإسلام قيام الليل، فقد أثنى الله ﷻ على أهله بقوله: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧]. وقد صلى رسول الله ﷺ حتى تشققت قدماه، شكراً لله تعالى، كما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما.

وفيه تتفتح نفس المؤمن على عبادة ربه والتذلل له، والتضرع إليه والخشوع له، وذرف الدموع بين يديه، وتطويل السجود والركوع له سبحانه، والاستغفار من الذنوب، والاعتراف بالتقصير، وطلب الرحمة، والتجاوز عما كان، والعهد على الطاعة..

وإنها لعادة جميلة، وعبادة جيلية، أن يتعلم المسلم ذلك، ويعزم على نفسه القيام به، فهو من خلق أهل الله الأكارم، وعباد الله الصالحين، حيث ورد في الحديث الصحيح، الذي رواه أحمد والحاكم والبيهقي وغيرهم: «**عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد**».

وقد ثبت طبياً في هذا العصر فائدة القيام والحركة ليلاً، وخاصة لكبار السن.

ويتأكد القيام في شهر رمضان المبارك، أفضل الشهور، ففيه السكينة والصفاء، فيه قراءة القرآن والغفران. يقول ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**».

وفيه ليلة القدر، التي نزل فيها القرآن الكريم وهي ﴿**خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ كما قال الله عز وجل.

وهي في العشر الأواخر منه، التي كان يجتهد فيها رسول الله ﷺ ما لا يجتهد في غيرها، لما فيها من الأجر الكبير والثواب العظيم.

النظافة وخصال الفطرة

حثني الإسلام على النظافة، وأدبني بآداب الفطرة، كالختان، وحلق العانة، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وإعفاء اللحية، وقص الشارب، وغيرها.

والسواك من الفطرة، وهو «**مطهرة للفم، مرضاة للرب**» كما رواه ابن جزيمة في صحيحه.

وقد أكد رسول الله ﷺ استعماله أكثر من مرة، حتى قال لأصحابه رضوان الله عليهم: «**أكثرت عليكم في السواك**». رواه البخاري.

ويستعمل عند الوضوء، وعند الصلاة، وعند تغير رائحة الفم، ندباً لا وجوباً.

إنه النظافة التي يحرص عليها الإسلام، والشخصية المتكاملة التي يحافظ عليها المسلم، في كل شئونه.

الزكاة

أمرني الإسلام بأن أؤدي الزكاة، فقال جل شأنه: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وهو مال أو زرع أو عرض أو نعم، إذا بلغت نصاباً وحال عليها الحول، أو جاء يوم حصاده، أخرج منها جزء قليل وأعطي للفقراء، وهو ركن عظيم من أركان الإسلام، يقاتل مانعوه، ويهدف إلى التوازن الاقتصادي ومساعدة الفقراء والتكافل الاجتماعي، فمن أبى كان له عذاب شديد في الآخرة.

وفي جزء من حديث نبوي كريم رواه الشيخان، ورد قوله ﷺ: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها من نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له**».

وعلى المسلم أن يؤديها من طيب ماله، وطيبة بها نفسه، فهو أمر الخالق الكريم، واهب الولد والمال، وكل ذلك امتحان.

الصوم

وأوجب علي الإسلام صيام شهر رمضان، فقال سبحانه: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وبين رسول الله ﷺ أن أجر الصائم كبير جداً، على أن يحافظ على صيامه من السب والفسق وما إليه.

وهناك باب في الجنة خاص بالصائمين يدعى باب الريان، لا يدخل منه أحد منه غيرهم.

وصيام رمضان إيماناً واحتساباً يعني غفران ما تقدم من الذنوب.

وفرحة الصائم تكون أكبر ما تكون عند لقاء ربه، حيث الثواب الجزيل والأجر الكبير.

ويتأكد في هذا الشهر الكريم الجود، وفعل المعروف، والإكثار من الخير، والزيادة منه في العشر الأواخر.

وفي السحور بركة، كما في الحديث الصحيح.

ولا يؤخر الإفطار، بل الفضل في تعجيله إذا تأكد دخول الوقت.

وإن وجد تمراً أفطر عليه، وإلا فعلى ماء، فإنه طهور.

والمناسب في حق الصائم هو التقوى والخشوع، ولا يناسبه قط رفع الصوت والكلام الفاحش والكذب، فهذا مرفوض شرعاً، فكيف بمن يصوم ويفعل هذا؟!

وفي شهر رمضان يكون ثواب العمرة كحجة مع رسول الله ﷺ، كما دل عليه حديث رواه الشيخان رحمهما الله.

وهناك مناسبات أخرى يسن للمسلم أن يصوم فيها، منها ستة أيام من شوال، ويوم عرفة، وعاشوراء، ويوما الاثنين والخميس، وثلاثة أيام من كل شهر.

وقد ورد في الحديث الصحيح أن إتباع رمضان بصيام ست من شوال، يكون كصيام الدهر.

وأن صيام يوم عرفة «**يكفر السنة الماضية والباقية**» كما في صحيح مسلم.

وفيه أيضاً أن صيام يوم عاشوراء «**يكفر السنة الماضية**».

وفي حديث حسن صحيح رواه الترمذي قوله ﷺ: «**من فطر صائماً كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء**».

وأكل عليه الصلاة والسلام عند سعد بن عبادة ثم قال: «**أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة**». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وشهر رمضان شهر العبادة والقرآن، شهر تصفو فيه نفس المؤمن، حيث تقيد الشياطين، فيحد من إغوائها وسيطرتها، فيقبل المرء على عبادة ربه، ويصل إخوانه وأقاربه، في مناسبات الإفطار والقيام، ويحافظ على شعائر الإسلام بين أهله وأولاده، ويعلمهم القرآن، ويحبب إليهم الصيام، ويذكرهم بعهد الله، ومحبة رسوله ﷺ.

الحج

كما أمرني الإسلام بالحج إن كنت قادراً عليه، من مال يبلغنيه، وصحة تمكنني من أداء مناسكه، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧].

ومرتبة الحج المبرور كبيرة في الإسلام، والمبرور هو الذي لا يرتكب صاحبه فيه معصية، من الكلام اللغو والجدال والفواحش والمعاصي، وثوابه أن يرجع الحاج طاهراً بلا ذنوب، كيوم ولدته أمه.

وفيه يوم عرفة، الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة**». رواه مسلم.

والشوق إلى حج بيت الله لا يعرفه إلا من كابده، ولا يتصوره إلا من كمل إيمانه وحن إليه وذرف الدموع الغزيرة ليبسر الله له ذلك، ربما أشهر وسنوات، وإذا كان فقيراً جمع الدرهم إلى الدرهم عقوداً من الزمن حتى يتسنى له أداؤه، أو يساعده أحد أولاده الأبرار، أو من ذويه الأوفياء، وقد يبقى كذلك ويموت وهو لم يقدر على الحج، وما أكثرهم!

وفي بيت الله الحرام والمشاعر المقدسة تلتقي الجموع الإسلامية من كل صوب في دنيا الله، ومن كل جنس وكل قوم، بأشكالهم المختلفة، ولغاتهم المتعددة، وعاداتهم المتباينة، لكن الذي يجمعهم هو

عقيدة الإسلام، وكلمة الإخلاص، وحب مكة والمدينة، أقدس مدينتين عند المسلمين. كلهم إخوة، وكلهم يحبون بعضهم البعض، ويجتمعون في مكة ليؤدوا مشاعر الحب لله ودينه، ويعاهدوا الله على الطاعة، وعلى نبذ الشيطان وأهله.

مؤتمر وأكبر، جامعة عالمية، لا دنيا فيها ولا رياء، هو السلام والمحبة، والألفة والمودة، والإحسان والإكرام، والطاعة والإسلام.

ويبقى الشوق إلى مكة... بل ويزداد لمن حج مرة وأكثر.... ولا ينقطع الشوق إلا بانقطاع الحياة.

الجهاد

وأمرني الإسلام بالجهاد عند وجوبه، ولو كان ذلك شاقاً على النفس التي تحب الراحة وتؤثر السلامة، فإنه لابد منه لمواجهة الأعداء، ولم يكتب للإسلام النصر إلا بعد الحرب.

قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وللجهاد والمجاهدين فضل كبير لا يوصف، فإن العمل الشاق يترتب عليه أجر على قدره.

كما أنه يتسنم مرتبة عليا بين أولويات الدين، فقد ورد في حديث صحيح أن أحب عمل إلى الله وأفضله بعد الإيمان بالله هو الجهاد، وفي حديث آخر بعد الإيمان والصلاة. وفي ثالث بعدهما وبعد بر الوالدين..

والأمور التي تتعلق بالجهاد تأخذ مجراها من الأجر العظيم، فالحراسة والبقاء في ثغور الإسلام في مجابهة العدو ورد فيه أكثر من حديث، من ذلك قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها**». وفي حديث عند مسلم: «**لا**

خير من صيام شهر وقيامه» وعند الترمذي وحسنه: «**خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل**».

ومنزلة الشهيد في الجنة كبيرة عالية، لا يفضلها سوى درجات الأنبياء والصديقين، ولهذا ود رسول الله ﷺ أن يغزو فيقتل، ثم يغزو فيقتل، ثم يغزو فيقتل، كما ذكره مسلم.

وروى البخاري قوله ﷺ: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**».

وكفى أنهم ﴿**أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠].

والإنفاق على الجهاد ومساعدة المجاهدين وذويهم بمثابة الجهاد نفسه، ففي الحديث المتفق عليه: «**جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا**».

وفي حديث رواه الترمذي وحسنه: «**من أنفق نفقة في سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف**».

وقد يقاس على ذلك صنع الأسلحة إذا ابتغى بها الجهاد ضد العدو للفتك بهم، وكلما كانت النكاية أكبر كان الأجر أكبر.

وكذلك التخطيط للحرب، مما يسمى بالإستراتيجية العسكرية وخططها الحربية، فـ«**الحرب خدعة**» كما في الحديث المتفق عليه.

وكذا الإعلام العسكري، لتقوية معنويات المجاهدين، وإثباط عزائم الأعداء، والتصدي للإشاعات، وإثارة الرأي العام لصالح الجهاد وأهله.

يقول رسول الله ﷺ فيما رواه أبو داود بإسناد صحيح: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**».

وكان رسول الله ﷺ إذا غزا قال: «**اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أحول وبك أصول وبك أقاتل**» كما رواه الترمذي وحسنه.

وليتنبه المجاهد إلى الدين الذي عليه، فإنه يغفر له كل ذنب اقترفه ما عدا الدين، لأنه يتعلق به حقوق العباد.

وعلى أن يكون قد استشهد وهو مقبل على مصارعة الأعداء، لا منهزماً منهم، ويكون ذلك بصبر وثبات، واحتساب أجر وثواب، من عند الله العزيز الرحيم.

ولينظر من أجل ماذا يُقاتل، فإن النية هي التي تحدد المصير، وفي الإسلام يطلق الشهيد على: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي**

العليا، فهو في سبيل الله» كما في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم.

لله وحده، ولدينه وحده، لا لشيء آخر، وليدع بعد ذلك من شاء أن يدعيه.

ومن رحمه الله سبحانه بعباده أن أعطى مثل ثواب الجهاد لمن تمناه بصدق، وبلغه منزلة المجاهدين وإن مات في غير ساحة حرب!

حيث يقول رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم: «**من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**».

ولينظر المرء إلى كلمة «**بصدق**» التي وردت في الحديث، وليجرب، فإنه لا يقدر أن يتمناه أحد بحق إلا المخلصون الذين يتمنون الشهادة، ويتضرعون إلى الله تعالى أن يرزقهم الموت في سبيله، ويذرفون دموعاً حرى، ويلهجون بالدعاء في أوقات الإجابة وفي السحر، ولا يملون من ذلك.

وقد يكون عدم مشاركتهم في الجهاد لأسباب وأسباب، كمرض وإعاقة وفقر واحتباس ونحوه، ولكنهم يدعون الله لإخوانهم المجاهدين في كل مكان، أن يقويهم ويسددهم ويوحدهم وينصرهم على أعدائهم أعداء الدين.

وفي الصحيح قوله ﷺ: «**إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم، حبسهم المرض**». وفي رواية: «**إلا شركوكم في الأجر**».

ولا يغيب عن المسلم قصة المجاهدين الفقراء، الذي ما كانوا يجدون عدة السلاح ليجاهدوا مع رسول الله ﷺ، فكانوا ينصرفون وهم حزينون، يبكون بحرقة وألم، وبين أجرهم رب العزة ضمن الذين لا حرج عليهم من أن يتخلفوا عن الجهاد، فقال: ﴿**وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ**﴾ [التوبة: ٩٢].

أما ترك الجهاد، أو عدم التفكر به وتمنيه، فهو صفة من صفات المنافقين، ففي حديث رواه مسلم قوله ﷺ: «**من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو، مات على شعبة من النفاق**».

وعند أبي داود بإسناد صحيح: «**من لم يغز، أو يجهز غازياً أو يخلف غازياً في أهله بخير، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة**».

والقارعة: الداهية والمصيبة.

وأخيراً، فإن الجهاد متعلق بعزة الأمة، ولا قيمة ولا هيبة لأمة تتمتع بقوة عسكرية رادعة، ولهذا ورد في القرآن الكريم: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

والذل والهوان مصير من ترك الجهاد.

من أدب المعاملات

أدبني الإسلام بأن أكون واسع الصدر، طيب الأخلاق، متساهلاً في البيع والشراء، والأخذ والعطاء، وحسن القضاء والتقاضي، فإن رسول الله ﷺ دعا بالرحمة لمن كان كذلك، حيث ورد في صحيح البخاري: «**رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى**».

ومما أدبني به الإسلام أن أساعد المدين، بأن أعفو عنه، أو أخفف من ديني الذي عليه، أو أنتظر حتى يستغني، فإن الله يتجاوز عني إذا فعلت ذلك، ويرحمني يوم القيامة، لأنني رحمت ذلك المعسر في الدنيا.

العلم

وحثني الإسلام على طلب العلم لأكون من طبقة العلماء، ولأعرف ديني، وما يجري حولي، فأفهم وأوازن، وأكون عضواً نافعاً وإيجابياً في المجتمع، وأدعو إلى دين الله.

وكلما زاد علم المرء ارتفعت درجته في الجنة، على أن يكون علماً نافعاً، خالصاً لله. يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وبالعلم ينتشر نور الإسلام، وكلما أخذ كلامك الطيب مكاناً في الواقع، كتب لك أجره، وأجر من عمل به، حتى يوم القيامة!

فما أعظم هذا الثواب! وما أعظم هذا الدين! وما أجل ما يدعو إليه، وما أكثر قيمة أهل العلم في الإسلام.

وورد في حديث صحيح رواه الأربعة وغيرهم قوله ﷺ: «**فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**».

وصدق رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام وأزكى التسليم.

ذكر الله

علمني الإسلام الأذكار وحثني عليها، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً*وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢]، وهي من أنواع العبادات التي يتقرب بها المؤمن إلى الله، وهي كالحصن يحفظه الله بها، ويقيه شروراً، فيستريح، ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

والذي لا يذكر بعيد عن الله، وإيمانه ضعيف، يقول رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره، مثل الحي والميت**».

وذكر الله من خير الأعمال وأزكاها عند الله ﷻ.

وقد بين رسول الله ﷺ أن الذاكرين سباقون إلى الجنان، وذكر كلمات تجلب لقائها حسنات كثيرة جداً، من ذلك «**سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**» اللتين وصفهما بأنهما «**خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن**» في حديث متفق عليه.

وقال لأبي ذر في حديث رواه مسلم: «**ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده**».

ومن الأذكار الجليلة ذات الأجر الكبير كما رواه مسلم: «**سبحانه الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**».

ولحلق الذكر أجر كبير كذلك.

والأذكار كثيرة متنوعة، منها ما يقال بعد الصلوات، ومنها في الحج، ومنها عند النوم والاستيقاظ، ومنها عند السفر، والطعام، واللباس... تطلب من مظانها.

وفي حديث رواه مسلم قوله ﷺ: «**من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد**».

ولا ينسى المرء أن يحمد الله، ويزيد من ذكره، فإن الله يحب الحامدين الشاكرين، ويزيدهم من فضله.

وكذا الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ، فإنه إضافةً إلى رفعة درجة رسول الله ﷺ بها ورحمته سبحانه وتعالى به، يعود الأجر له أيضاً، ففي الحديث الصحيح: «**من صلى علي واحدة، صلى الله عليه بها عشراً**».

ويكثر من الاستغفار كذلك...

والمهم أن يكون دائم الذكر، لا ينسى فضل ربه، الذي جعله على ملة خليله، وعلى دين أحب خلقه إليه.

وأنصح أخي المسلم بما نصح به رسول الله ﷺ أحد صحابته بقوله: «**لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله**». رواه الترمذي وهو صحيح.

وقالت عائشة رضي الله عنها: «**كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه**». رواه مسلم.

الدعاء

وعلمني الإسلام الدعاء، وأمرني الله بذلك فقال: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

والدعاء من أنواع العبادة، بل هو العبادة نفسها، أو هو مخها، فيقول الرسول ﷺ كما رواه الترمذي وصححه: «الدعاء هو العبادة».

وذلك أنه دليل العبودية، والاعتراف بالضعف أمام رب العالمين، وأنه لا حول ولا قوة له إلا به سبحانه وتعالى، وأنه إذا أراد شيئاً كان، لا يمنعه مانع، وإذا لم يشأ لم يكن مهما حاول المرء، هو والآخرون، فأول الأمر وآخره بيده جل جلاله، وإذا لم يستجب فلا أمل للحصول على الطلب.

ومن يغفر الذنوب إلا الله؟

ومن يحيي ويميت سوى الله؟

ومن يشفي المريض إذ أبى الله؟

ومن يكشف الضر والبلاء إذا جاء القحط وغار الماء؟

ومن يزيد من العقل وينقص؟

ومن يعطي الولد ويمنع؟

ومن يحاسب يوم القيامة؟

ومن يدخل الناس الجنة أو النار؟

من بيده ملكوت كل شيء؟

من الأول والآخر، من الحي الذي لا يموت، من هو قيوم السماوات والأرض؟

من الذي يقول الشيء كن فيكون؟

إنه الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

وهو الذي يدعى وحده ﷻ لا غير، إن شاء أعطى وإن شاء منع، فليتوجه إليه المرء بكل قلبه، وكل أحاسيسه ومشاعره وعواطفه، فهو الرب العظيم، والرؤوف الرحيم، وأنت العبد الفقير، الذي يمرض ويموت.

وهناك أدعية جميلة وجليلة كثيرة كان يدعو بها رسول الله ﷺ ويعلمها أصحابه، يحسن بالمسلم أن يحفظ كثيراً منها، ليدعو بها.

وقد روى أنس أنه كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «**اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**» متفق عليه. وهذا من جوامع الدعاء الذي كان يحرص عليه رسول الله ﷺ.

ومن دعائه عليه الصلاة والسلام: «**اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك**». رواه مسلم.

ومما أدبني به الإسلام أن أقول لمن صنع إلي معروفاً: «**جزاك الله خيراً**» فإن قلت ذلك فقد أبلغت في الثناء، حيث أظهرت عجزي عن مجازاته بأحسن ما أسدى إلي، وأحلته على ربي وربه.

و«**دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة**» كما رواه مسلم.

و«**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**» رواه مسلم أيضاً.

ولا يستعجل المسلم استجابة الدعاء، وليدعه الله الحكيم العليم، وليفكر بمطعمه ومشربه وملبسه هل هي حلال؟ لينظر موضع استجابة دعائه.

ومن أوقات الاستجابة جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات.

ودعاء الكرب كما علمنا رسول الله ﷺ هو: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم**» متفق عليه.

أدب الكلام

وعلمني الإسلام أدب الكلام، فلا خير في كلام لا فائدة فيه، والملائكة يكتبون كل ما يقال، ويحاسب المرء على كل ما يقول، إن له أو عليه ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

يقول رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت**».

قال الإمام النووي: هذا الحديث صريح في أنه ينبغي أن لا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيراً، وهو الذي ظهرت مصلحته، ومتى شك في ظهور المصلحة فلا يتكلم.

وقال في موضع آخر: اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام، إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسنة الإمساك عنه؛ لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وذلك كثير في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء.

وأمر اللسان عظيم خطير، فإنه سبب لدخول النار، وقد سأل معاذ رسول الله ﷺ: يا رسول الله، إنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟

فقال ﷺ: «**وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلى حصائد ألسنتهم؟**» رواه الترمذي وصححه.

فاللسان يؤذي، وقد يكون سبباً في خراب بيوت، وهلاك أقوام، وحروب وفتن، وقطيعة وهجران، والمسلم يبتعد عن كل هذا، لأنه رجل سلام ومنفعة، لا إيذاء ومضرة. وقد سُئل رسول الله ﷺ: أي المسلمين أفضل؟ فقال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده». متفق عليه.

ومن صور الإيذاء باللسان ما يسمى بالغيبة، وهي أن تذكر أخاك المسلم بما يكرهه، ولو كان فيه ما تقول، فإنه إشاعة للبغض والشحناء، وزرع للفتن والأحقاد، وتفريق لشمل المجتمع الإسلامي، ولذلك كانت من الكبائر، ومثلها النميمة، وتعني نقل الكلام للإيقاع بين الأهل والإخوة، في الدين والقرابة.

ولا يجوز سماع الغيبة، بل ترد وينكر على قائلها، فإن عجز المرء عن الإنكار، أو لم يقبل منه، فارق ذلك المجلس إن أمكنه.

ولا تباح الغيبة إلا لغرض صحيح شرعي. كبيان ما وقع عليه من ظلم، والاستعانة على ترك المنكر.. وغير ذلك مما ذكره العلماء...

ونهي عن نقل الحديث وكلام الناس إلى ولاة الأمور إذا لم تدع إليه حاجة، كخوف مفسدة ونحوها.

وبئس الرجل ذو الوجهين، الذي يأتي كل طائفة ويظهر لهم أنه منهم ومخالف للآخرين مبغض. فإن أتى كل طائفة بالإصلاح فمحمود.

وانظر إلى هذا الخبر الذي رواه البخاري، لتحذر مما تفعله أو يفعله الآخرون، وتفكر في حال الإعلاميين، والصحفيين منهم خاصة.

فقد جاء ناس وسألوا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: إنا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم [أي: نثني عليهم بحضورهم ونذمهم إذا خرجنا] فقال لهم: كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ.

الكذب

وأدبني الإسلام بأن أصدق، وحرم علي الكذب، فإن الصدق يهدي إلى الأعمال الصالحة، التي تؤدي إلى الجنة، والكذب يهدي إلى الوقوع في الخطايا والأعمال السيئة، التي تؤدي إلى النار.

والكذب من شيم المنافقين الذين يدعون الإيمان وهم على خلافه، فإن المنافق «**إذا حدث كذب**» كما في الحديث المتفق عليه.

ويبدو خطر الكذب من أنه قلب للحقائق، وتبديل للوقائع، وخيانة في النقل، فلا تكون هناك حياة صحيحة مع أمثال هؤلاء، ولا يستقيم أمر الناس بذلك، فلابد من الردع والاستنكار وبيان شناعة هذا الخلق ورفضه، وبيان ما وعد الله به من عقاب ﴿**وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾ [البقرة: ١٠].

ومن ذلك قول الزور والشهادة بالبهتان، التي شدد فيها رسول الله ﷺ حتى عهدها من أكبر الكبائر.

وهناك حالات قليلة جداً ونادرة يجوز فيها الكذب، ذكرها الفقهاء بشروطها، كمسلم اختفى من ظالم يريد قتله أو أخذ ماله... فوجب الكذب بإخفائه، وكمن يصلح بين الناس... لكن مادام الأمر المحمود يمكن تحصيله بغير الكذب فإنه يحرم الكذب فيه.

وليحترس المرء من الكلام الكثير وليتثبت مما يقوله ويحكيه، فإن رسول الله ﷺ يقول: «**كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع**». رواه مسلم.

ومن صور الكذب التزوير على الناس، بأن يتزيا بزي أهل الزهد أو العلم أو الثروة، ليغتر به الناس، وليس هو بتلك الصفة، كما ذكره الإمام النووي رحمه الله.

كما علمني الإسلام أن أثبت مما أسمعه أو ما ينقل إلي، فإذا سمعت خبراً من فاسق تبينت هل هو صحيح أم لا؟ والفاسق هو الذي لا يطبق كل واجبات الإسلام؟ فكيف إذا كان مصدر الخبر منافقاً أو كافراً؟ فهو بالتأكيد لا يريد مصلحة الإسلام والمسلمين.

وانظر بعد ذلك مصادر الأخبار في عصرنا، ووكالات الأنباء، والقنوات الفضائية، وما إليها من وسائل الإعلام، وهي في معظمها بيد أعدائنا، ومدى الفداحة التي تصيب ديار الإسلام وأهله بذلك، وما أكثر من يصدقها، وينقلها، فيساعدهم بذلك في هدم كياننا، وإشاعة الكذب بين أهلنا، وفي ذلك تقويتهم وضعفنا.

اللعن والسب

وأدبني الإسلام بالخلق الحسن، وحرم علي لعن إنسان بعينه أو دابة، فإن معنى اللعن: الطرد من رحمة الله، وهو ما كان من شأن إبليس اللعين. يقول رسول الله ﷺ في حديث حسن صحيح رواه الترمذي: «**لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بالنار**».

ويقول في حديث متفق عليه: «**لعن المؤمن كقتله**». أي أن الإثم المترتب على اللعن، كالإثم المترتب على القتل.

لكن يجوز لعن أصحاب المعاصي غير المعينين، فيقول الله تعالى: **﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾** [هود: ١٨].

ولعن رسول الله ﷺ آكل الربا، والسارق، والمتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال، ولعن اليهود...

ويحرم سب المسلم بغير حق، وهو الشتم والتكلم في عرض الإنسان بما يعيبه. يقول الله عز وجل: **﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾** [الأحزاب: ٥٨].

ويقول رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه الشيخان: «**سباب المسلم فسوق**» يعني في الإثم والتحريم.

منهيات أخرى

ونهاني الإسلام عن أخلاق أخرى مشينة، تضر بديني ومجتمعي، فنهاني عن التباغض، والتقاطع الذي يؤدي إلى البغضاء والنفور، والتدابر، وهو أن يولي الرجل أخاه إذا لقيه ظهره إعراضاً عنه، فإن الله سبحانه يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال رسول الله ﷺ :«**لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**» رواه البخاري ومسلم.

- والحسد هو تمني زوال النعمة عن صاحبها، سواء كانت نعمة دين أو دنيا.
- ونهاني ديني عن التجسس والتسمع لكلام من يكره استماعه، وهو التجسس عن عيوب الناس ومتابعتها. يقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢].

ويقول رسول الله ﷺ في حديث صحيح رواه أبو داود: «إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم، أو كدت أن تفسدهم».

- ونهاني عن سوء الظن من غير ضرورة، فالله سبحانه يقول: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

- ويحرم احتقار المسلم، وهو إهانته وإسقاطه من النظر والاعتبار، فإن الله ﷻ يقول: ﴿لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١] والسخرية هي الاحتقار. وقال ﷺ: «**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**». رواه مسلم.

- كما لا تجوز الشماتة به، وهو الفرح بمصيبة نزلت به.

- ونهى عن الغش والخداع، من ذلك قوله ﷺ: «**من غشنا فليس منا**». رواه مسلم.

- كما يحرم الغدر، وهو نقض العهد، ومن كان غادراً كان رسول الله ﷺ خصمه يوم القيامة، كما جاء في حديث رواه البخاري.

- ولا يجوز المن بالعطية ونحوها، فإن الله يقول: ﴿لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤].

- ولا الافتخار والبغي، وهو التعدي والاستطالة.

- ويحرم الهجران بين المسلمين فوق ثلاثة أيام، إلا لبدعة في المهجور، أو تظاهر بفسق، أو نحو ذلك. وفي حديث رواه أبو داود بإسناد صحيح: «**من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه**».

- ومن أدب المجلس ألا يتناجى اثنان دون الثالث بغير إذنه، إلا لحاجة، وهو أن يتحدثا سراً بحيث لا يسمعهما، وفي معناه ما إذا تحدثا بلسان لا يفهمه.

- ولا يعذب الإنسان أو الحيوان، ولا يؤذي المرء زيادة على قدر الأدب. ويعرف القارئ حديث المرأة التي عذبت لأنها حبست هرة ولم تطعمها حتى ماتت.

وقال الصحابي الجليل هشام بن حكيم: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ: «**إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا**». رواه مسلم.

ولمسلم أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: «**نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه**».

ويحرم التعذيب بالنار في كل حيوان حتى القملة ونحوها.

- ويحرم على الغني تأخير حق طلبه منه صاحبه، وهو «**المطل**».

- كما يحرم أكل مال اليتيم، وهو أحد الموبقات السبع التي شدد الإسلام في الزجر عنها، يقول الله ﷻ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**﴾ [النساء: ١٠].

- وكذلك الربا من أعظم المحرمات، وقد «**لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله**» كما رواه مسلم، زاد الترمذي وغيره: «وشاهديه وكاتبه».

- وكذا الرياء، حيث يقول نبينا ﷺ كما رواه الشيخان: «**من سمع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به**».

ومعنى الجملة الأولى: من أظهر عمله للناس رياء فضحه الله يوم القيامة.

ومعنى الجملة الأخرى: من أظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم وليس هو كذلك، أظهر الله سريرته على رؤوس الخلائق.

- ويحرم النظر إلى المرأة الأجنبية والأمرد الحسن لغير حاجة شرعية، يقول سبحانه وتعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**﴾ [النور: ٣٠].

وكذا الخلوة بها، ففي الحديث المتفق عليه: «**لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم**».

- ويحرم أيضاً تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال، في لباس وحركة وغير ذلك، ففي الحديث الشريف: «**لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء**». والمخنث من يشبه خلقه النساء في حركاته وكلماته.

- كما ينهى التشبه بالكفار.

- والنهي أيضاً عن القزع، وهو حلق بعض الرأس دون بعض، والإباحة في حلقه كله للرجل دون المرأة.

- ويحرم وصل الشعر، والوشم، والوشر، وهو تحديد الأسنان...

- وينهى عن ترك النار في البيت عند النوم ونحوه.

- ولا يجوز التكلف، وهو فعل وقول ما لا مصلحة فيه بمشقة.

- وتحرم النياحة على الميت، ولطم الخد، وشق الجيب، ونتف الشعر وحلقه، والدعاء بالويل والثبور، وليس البكاء، فإن رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا (وأشار إلى لسانه) أو يرحم**». متفق عليه.

- ونهينا عن إتيان الكهان والمنجمين والعراف وأصحاب الرمل.

وفي الحديث الشريف: «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً**». رواه مسلم.

ومثل هذه الأمور تشوش على المسلم حياته وعقيدته، فيتكل على الظنون والتخرصات، ويستسلم للهواجس والهموم، وينتظر الوعود والأكاذيب سنوات، بدل التخطيط والتفكير السليم والتوكل على الله تعالى، ولذلك نهي عنها.

- ونهينا عن الطيرة، وهو نوع من التشاؤم، وقد أرشدنا رسول الله ﷺ إلى أننا إذا رأينا ما نكره تقول: «اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك». رواه أبو داود بإسناد صحيح.
- ويحرم تصوير الحيوان في تفصيلات ذكرها الفقهاء.
- ولا يتخذ الكلب إلا لصيد أو حراسة ماشية أو زرع.

آداب المسجد

أمرنا الإسلام بتنزيه المساجد عن الأقذار، وإزالتها إذا وجدت، فبيوت الله بنيت لذكر الله وقراءة القرآن، وينبغي أن تكون نظيفة بهيجة يرتاح فيها المسلم ويطمئن للجلوس فيها، ولئلا يشغله شيء عن الذكر والدعاء والخشوع.

وتكره فيها الخصومة، ورفع الصوت، ونشد الضالة، والبيع والشراء والإجارة ونحوها من المعاملات. ولا بأس بالكلام المباح.

وينهى لمرتادها أكل ثوم أو بصل أو كرات أو غيره مما له رائحة كريهة عن دخولها قبل زوال رائحتها، إلا لضرورة.

وفي الحديث المتفق عليه: «**من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا، أو فليعتزل مسجدنا**».

وهي أحب الأماكن إلى الله ﷻ. حيث ورد في صحيح مسلم قوله ﷺ: «**أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها**».

الحلف

نهانا الإسلام عن الحلف بمخلوق، كالنبي، والكعبة، والملائكة، والسماء، والآباء، والحياة، والروح، والرأس، وحياة السلطان، وتربة فلان وقبره، والأمانة.

قال رسول الله ﷺ: «**لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم**». رواه مسلم. والطواغي هي الأصنام.

وقال ﷺ كلاماً جامعاً في هذا، في الحديث المتفق عليه: «**من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**».

ومن الكبائر الحلف كذباً، ويسمى «**اليمين الغموس**» وهي التي تغمس صاحبها في الإثم، أو في النار.

ومن حلف على شيء ورأى غيره أفضل منه، فليأت الذي هو أفضل وليكفر عن حلفه.

والكفارة إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم، ومن لم يجد القيمة صام ثلاثة أيام.

ويعفى عن «**لغو اليمين**» ولا كفارة فيه، وهو ما يجري على اللسان بغير قصد اليمين، كقولك على العادة: لا والله، وبلى والله، ونحو ذلك.

ويكره الحلف في البيع وإن كان صادقاً، يقول رسول الله ﷺ: «**إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه ينفق ثم يمحق**». رواه مسلم.

يعني أن الحلف يكون سبباً لنفاق المبيع، لكن ذلك منقص للبركة.

ويكره أن يسأل الإنسان بوجه الله عز وجل غير الجنة.

تنبيهات ومحظورات أخرى

- نهانا الإسلام أن نخاطب الفاسق والمبتدع ونحوهما بـ«سيد» ونحوه.

- ويكره سب الحمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم.

- ولا يسب الريح، ففي حديث حسن صحيح رواه الترمذي: «**لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما أمرت به**».

- ولا يسب الديك «**فإنه يوقظ للصلاة**». كما رواه أبو داود بإسناد صحيح.

- ويحرم أن يقال لمسلم يا كافر، أو يا عدو الله، فإن لم يكن فيه ما قيل رجعت إلى قائله هذه الصفة.

- ونهينا عن الفحش وبذاءة اللسان، فإن رسول الله ﷺ يقول: «**ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء**». رواه الترمذي وحسنه.

- ويكره التقعير في الكلام، بالتشدق وتكلف الفصاحة، واستعمال وحشي اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم، فإن المقصود من الكلام هو التبليغ والتفهيم.

- وينهى عن وصف محاسن المرأة للرجل، إلا أن يحتاج إلى ذلك لغرض شرعي، كنكاحها ونحوه.

- ولا يجمع بين مشيئتي الرب والعبد، وإنما يذكر بالترتيب، فيقال: ما شاء الله، ثم شاء فلان، ولا يقال: ما شاء الله وشاء فلان.

- ويكره الحديث بعد العشاء الآخرة إلا لعذر وعارض، وأما مذاكرة العلم وحكايات الصالحين ومكارم الأخلاق، والحديث مع الضيف ومع طالب حاجة ونحو ذلك، فلا كراهة فيه. أفاده النووي رحمه الله، استنتاجاً من الأحاديث الصحيحة.

- وفي السهرات الليلية غير المباحة ضرر على النفس والدين والصحة، ففي الليل النوم والراحة، وفي النهار العمل والحركة، وقلب هذه العادة أو أخذ نصيب هذا لهذا يوجد خللاً في الحياة والمعاش.

- ويحرم على المرأة الامتناع من فراش زوجها إذا دعاها ولم يكن لها عذر شرعي، ولا تصوم تطوعاً وزوجها حاضر إلا بإذنه.

تنبيهات في الصلاة

وفي الصلاة يحرم رفع المأمور رأسه من الركوع أو السجود قبل الإمام، وكذا الركوع والسجود قبله.

ولا يضع المصلي يده على خاصرته.

وتكره الصلاة بحضرة الطعام ونفسه تتوق إليه، وكذا وهو متضايق من البول والغائط.

ولا يرفع بصره إلى السماء في الصلاة.

ولا يتلفت فيها بغير عذر، فإنه «اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد» كما رواه البخاري.

ولا يصلي باتجاه قبر.

ويحرم المرور بين يدي المصلي.

أبواب في المنهيات

- وينهى عن تجصيص القبر والبناء عليه.

- ولا شفاعة في الحدود التي أمر الله بإقامتها، فـ«إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد». كما رواه الشيخان.

- وينهى عن التغوط في طريق الناس وظلهم وموارد المياه ونحوها، فهو نوع إيذاء لهم، والله ﷻ يقول: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً**﴾ [الأحزاب: ٥٨].

- ويكره تفضيل الوالد بعض أولاده على بعض في الهبة.

- ويحرم إحداد المرأة على ميت فوق ثلاثة أيام إلا على زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام.

- ولا يجوز للمرء أن يخطب فتاة مخطوبة إلا بإذن الخاطب الأول أو حتى يدعها. يقول رسول الله ﷺ: «**المؤمن أخو المؤمن، فلا يحل لمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر**». رواه مسلم.

- وينهى عن إضاعة المال في غير وجوهه التي أذن الشرع فيها.

- كما ينهى عن الإشارة إلى مسلم بسلاح ونحوه، سواء كان جاداً أو مازحاً. يقول النبي الكريم عليه الصلاة والسلام في الحديث المتفق عليه: «**لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار**».

- ويكره الخروج من المسجد بعد الأذان إلا لعذر حتى يصلي المكتوبة.

- كما يكره رد الطيب والريحان إلا لعذر.

- ويكره المدح في الوجه لمن خيف عليه مفسدة، من إعجاب وكبر، وجوازه لمن أمن ذلك في حقه.

- والسحر من السبع الموبقات التي أمرنا باجتنابها، فهو حرام حرمة مغلظة.

والسبع المذكورات هن: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**». متفق عليه.

- ويحرم انتساب الإنسان إلى غير أبيه.

تحذير من العصيان وتذكير بالتوبة

حذرني الإسلام من ارتكاب ما نهى الله ﷻ ورسوله عنه، فإن مآله عقوبات وعذاب في الدنيا والآخرة، والعقوبات الإلهية تكون للأفراد والجماعات والأمم. يقول الله ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وهناك أمور مشاهدة، وأخبار وحكايات منقولة صحيحة فيما أصاب ظالمين وقتلة وسارقين، وبعضهم يؤخر إلى يوم عظيم.

وعلى من ارتكب منهياً عنه أن يستغفر الله ويسارع إلى التوبة، فإن الله غفور رحيم. يقول ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ*أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦].

ويقول أيضاً جل جلاله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [النساء: ١١٠].

ومع كون رسول الله ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فإنه قد روى ابن عمر رضي الله عنهما فقال: «كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت

التواب الرحيم». رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

فكيف بنا ونحن خطاؤون؟

- والتوبة الصادقة من الذنب أن يقلع عنه، ويندم عليه، ويعزم على ألا يعود إليه.

إلى الجنة

وقد أعد الله لعباده المؤمنين جنات فيها من النعيم الخالد ما لا يخطر على البال، جزاءً بما كانوا يعملون من خير وعمل صالح.

يقول الله ﷻ: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ*الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ*ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ*وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨-٧٢].

في العقيدة

علمني الإسلام أن أوحد الله سبحانه في إيماني به وعبادتي له، فهو الواحد الأحد الذي لا شريك له، وهو الخالق المالك المدبر، والرازق والمحيي والمميت، ومنزل المطر ومنبت الشجر.

والعبادة تكون له وحده، من صلاة وصيام، وتوكل ونذر وذبح.

ويثبت له من الصفات ما أثبته الله ورسوله منها، دون تمثيل ولا تكييف، ولا تحريف ولا تعطيل.

هو الله المعبود بحق وصدق وإخلاص، لا تتوجه العبادة إلا إليه سبحانه.

وهذا هو المعنى العام للفظ (لا إله إلا الله).

والركن الثاني من الشهادة هو الإيمان بنبوة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، المبعوث رسولاً إلى الناس جميعاً من عند الله رب العالمين، لا يكذب، ولا يعبد، فهو عبد الله، والرسول الصادق الأمين.

والمطلوب في العقيدة والعبادة الإخلاص دون أي شائبة من الرياء.

والنفاق يعني التظاهر بالإسلام واستبطان الكفر.

وأن يعلم أن الولاء والمحبة تكون للمسلمين، ولا يحب الكافر ولا يناصر، فالإسلام هو الاستسلام لأحكام الله، بتوحيده وطاعته، ثم البراءة من الشرك وأهله.

وأركان الإيمان هي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

فتؤمن بوجود الملائكة، وما ذكر من صفاتهم، والمهمات الموكلة بهم.

وبالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه، كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم، وتصديق ما فيها جميعاً، يعني جميع ما جاء في القرآن الكريم، وما علم أنه لم يبدل من الكتب السابقة، فقد غيرت وبدلت من بعد بأيدي محرفين منحرفين، وبقي القرآن صحيحاً كما أنزل، حيث تكفل الله بحفظه دون الكتب السابقة.

والرسل هم الأنبياء الذين أوحى الله إليهم، فيؤمن بأن رسالاتهم حق، مثل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم، صلى الله وسلم عليهم جميعاً.

والإيمان باليوم الآخر هو التصديق بأن الله يبعث الناس جميعاً من قبورهم بعد موتهم، ثم يحاسبون ويجازون على أعمالهم، فإما إلى الجنة، أو إلى النار، مع خلود دائم لا موت بعده.

والإيمان بالقدر هو التصديق بأن الله يعلم كل شيء جملةً وتفصيلاً، وأن كل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، وأن ليس من كائن إلا بمشيئته سبحانه.

ويبتعد المسلم عن البدع والضلالات التي ليست من الدين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾ [النساء: ١٣٦].